المُلحِدونْ عَمَّ يسألون؟

د/ فايزة السيد عبدالرحمن
كلية الآداب/ جامعة القاهرة

دار الروضة للدراسات الإنسانية

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ -
٢٠٠٦ م

دار الروضة
للنشر والتوزيع

حائزة على شهادات تقدير من المعارض الدولية والعالمية

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر

تليفون: 5913424 - 5066884

فاكس: 5927364 -

محمول: 0123608995

عضو اتحاد الناشرين المصريين

عضو اتحاد الناشرين العرب

عضو الاتحاد الإسلامى العالمى
للدعوة والإعلام

إِهْدَاء

عــــام:

إلي كُلِّ مَنْ يَتُّوقُ

بنُورِ البَصَر إِلُي نُورِ البَصِيرَةْ

وخـــاص:

إلي ناسي المقرَّبين:

أبي .. وأمي .. وإخوتي

وزوجي

نعمة ربي .. ورُفقاء دربي

كلمة شُكر

أتوجّهُ بها إلي كل من ساهم وأَدْلَي بدَلْوِه من أجل أن يخرجَ هذا الإنتَاجُ الفكري إلي النور، جازاه اللهُ خيراً عن قَدْر مساهمته سواء بالتشجيع والحثّ علي أن أقدحَ زِنادَ فِكري في موضوع هذا الكتاب أو بالبحث عن مَوْضِع بعض الآيات القرآنية في كتاب الله المسطور؛ أو بتأصيل بعض المصطلحات الشرعية الواردة.

سُورَةُ البَقَرَة

﴿ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الَمَ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
﴿٢﴾الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣﴾وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن
قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن
رَّبِّهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

صدق اللهُ العظيم



تقديم

هذا الكتاب يدور في بدايته ومتْنِه ونهايته حول الأسئلة الحائرة في خَلَد المُلحِدين، يتناولها بالعرض والدراسة والنقد البنّاء لبيان فسادها وإفسادها وضلالها وإضلالها وبالتالي بُطلانها لأنها مبنيّة علي باطل وأوهام بدّدت النور في عقول أصحابها وبدّلته بظُلمات خيمَّت عليها. ويتعرّض الكتاب مباشرةً لداء الإلحاد بالكشف والتنقيب عنه في أغوار النفْس المُلحِدة، ثم للدواء من خلال النُصح والتصحيح والتصويب والتقويم.

هذا الكتاب يستند إلي ثلاثة مراجع عبارة عن ثلاثة مؤلَّفات هي:

١ - د/ مصطفي محمود: حوار مع صديقي المُلحِد، مطابع روز اليوسف، القاهرة ١٩٧٤، الطبعة السابعة.

٢ - عن د/ مصطفي محمود: رحلة الشك واليقين، دار الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠١٢، الطبعة الأولي.

٣ - د/عمرو شريف: خُرافة الإلحاد، نيُو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠١٨، الطبعة التاسعة.

تم دراسة هذه الكتب الثلاثة بعناية ودِقّة فائقة من حيث استخلاص المعلومات اللازمة لمُحتويَ هذا الكتاب الذي بين يديْك أيها القارئ، بالتوافق والتأييد والخلاف والاختلاف والاستدلال والتدليل، وتوظيفها لخدمة الهدف المنشود منه وهو الاهتداء إلي سواء السبيل بلا ميْلٍ أو عوج من أجل صلاحِ الحال واتقاءً لسُوءِ المآل.

وليس الغرض الباتّة من اتخاذ الكتب الثلاثة المذكورة قاعدة وركيزة ومُنطلق هو صناعة كتاب رابع منها كما يتراءي للقارئ في أَوَّلِ وَهْله، فهذا هدفٌ سطحيّ شكليّ مُفَرَّغ من أي مضمون، ولكنْ المقصود هو وضع اليد علي ما تحويه هذه الكتب الثلاثة من معلومات هامة في قضية الإلحاد وتسليط الضوء عليها لمزيدٍ من الإبراز لها وتوظيفها في

خدمة هذه القضية الشائكة من أجل تنبيه العقول الغافلة وإيقاظها من غَفْوتها بالتكرار الذي يدعم الإنذار لعل المُنذَرين يرشُدون، فإنه لا تعمَي الأبصار ولكن تعمَي القلوب التي في الصدور، والخطاب المُتضمَّن هنا في هذا الكتاب تحت مُسمَّي «نداء الإيمان» مُوجَّه من القلب إلي القلب لينفُذَ إليه بالدواء الشافي وينفُض عنه الداء الذي ران علي سُوَيدائه أملاً في الشفاء.

ينطلق هذا الكتاب من التعريف بمصادر الشريعة الخمسة، ثم كيفيّة التعامل مع الفقه الإسلاميّ وتصنيفاته، ثم آداب السؤال والجدال مع أمثلة تطبيقية، ثم في خطوة لاحقة يتناول الداء، داء الإلحاد، بالتوصيف والتشخيص لبيان خطورتِه من خلال خطابٍ مُوجَّه إلي مَنْ أصابه فصرعه وأَرْداه، ويصف بين طيّات هذا الخطاب الدواء الناجع من خلال النُصح والإرشاد ويُنوِّ مُحذِّراً أنه من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها من خلال الإشارة إلي سوُء العاقبة، ويحْدونا الأمل في الرشاد والهداية من ربِّ البْرايا، وما أبغِي بهذا الكتاب إلَّا الإصلاحَ ما استطعت.

أكتوبر سنة ٢٠٢٠م

ربيع الأول سنة ١٤٤٢ هـ

د/ فايزة السيد عبدالرحمن

أولاً: مصادر الشريعة الإسلامية:

الدين علم وكل علم له مصادره، ومصادر علم الدين خمسة:
القرآن - السُنّة - الإجماع - القياس - الاستدلال

١ - القرآن : أَوّلُ هذه المصادر وأعظمُها، نور الحضارة الإسلامية، تدور حوله كل مناحِي الحياة، فإليه ترجع كلُ أمور الحياة فيصير مقوِّما للأشياء، من حق وباطل وغيرهما. اهتم المسلمون بتوثيقه فحفظه الله. له أسانيد معروفة ترجع إلي رسول الله.

في القرن الثامن الهجري اهتم المسلمون بكتابة كتاب الله وضعوا علي هَدْيه بقيّة العلوم، وضعوا آداب تلاوته والتعامل معه؛ اتخذوه دافعا للإبداع في العلوم والآداب والفنون، الإبداع بمعني الجديد وليس التقليد.

٢ - السُنّة: أنشأ المسلمون فيها عشرين علماً وقد أبدعوا في توثيقها.

١١٤ ألف صحابي، منهم ١٠ آلاف معروفون بالإسم، كلهم رأوا النبي ونقلوا عنه، ١٨٠٠ هم الذين رووا ٦٠ ألف حديث نبوي. ٩٠٠ صحابي كلهم يروون حديثا واحدا، كانوا حريصين جدا مخافةَ أن ينسبوا إليه ما لم يقُلْه. «من كذب عليّ متعمِّداً فلْيتبوَّأ مقعده من النار» (حديث شريف) والأحاديث أنواع:

١ - صحيحة (إسناداً ومتْناً ونصاً) وصحيحة الإسناد أقل درجة.

٢ - موضوعة (منها مُختَلقة ومكذوبة)، وهناك فرق وتناقض وهشاشة في الموضوعة.

٣ - الإجماع: ويعني قضية اعتماد الجماعة العلمية التي تضع مصطلحات العلم الديني الذي يحتاج إلي تعلُّم وتوثيق ودُربة، وتعاقب من يخرج عليها؛ هي قضية الآداب الخاصة بالمهنة من حيث الاجتماع علي كلمةٍ سَواء لا يجوز الخروجُ عنها.

٤ - **القياس:** آليّة علمية فكرية مُعقّدة مُهمَّتُها قياسُ ما لم يرِد فيه نص علي ورد فيه نص.

٥ - **الاستدلال:** يُعرّف في مفهومه العام بأنه العملية العقلية التي يتم بواسطتها الانتقال من المعلوم إلي المجهول بغرض التوصُّل إلي أحكام شرعية مناسبة لأي قضية مُستجدّة، وهو نوعان.

- الاستدلال الصُوري (الاستنباط) الذي يهتم بدراسة ألفاظ العبارة دون مضمونها.

- والاستدلال المادي (الاستقراء) الذي يهتم بدراسة مضمون العبارة.

والاستدلال في حد ذاته لا يُعتبر مصدرا أصلياً من مصادر التشريع الإسلامي حيث أن العلماء قد اتفقوا علي بعض تلك المصادر بخلاف القرآن والسُنّة النبويّة واختلفوا في بعضها.

ثانياً: كيفيّة التعامل مع الفقه الإسلاميّ وتصنيفاته:

يُصنَّف الفقهُ الإسلاميّ بأنه قطْعيّ، ظَنّي، مسائل وقضايا

* الفقههُ الإسلامي يتمثّل في الأحكام الشرعيّة العملية لما اكتسبناه من الكتاب والسُنّة.

* هناك اتفاقٌ وإجماع في أصول المسائل، وهناك أيضاً اختلاف.

* تسعون إماماً كباراً كوّنوا مدارسَ ومذاهب فكريّة لفهم الشرع؛ بعض هذه المذاهب شاع وذاع والبعض الآخر لم يُكتب له الانتشار والذُيوع، وبقي منهم ثمانية مذاهب معمولٌ بها ومعروفة: أربعة من أهل السُنّة (أبو حنيفة/ مالِك/الشافعيّ/ابن حنْبَل) وأربعة من أهل الشِيعة (الجعفرية/ الزيْدية في اليمن/ الإباضية في المغرب/ الظاهرية. (لداوود بن علي الاصفهاني، حمل لواءها الإمامُ ابن حزم).

* موسوعة الفقه الإسلاميّ مازالت في البداية منذ أُنشئت أوائل السِّتينيات وتتناول مليوناً ومائتي ألف سؤال ولكنها ليست قضايا،

وهناك من لا يُفرِّق بين المسائل والقضايا مع أن بينهما فرقٌ كبير في الفقه الإسلاميّ.

* سبب البلبلة بين الناس يكمُن في عدم معرفة كيفيّة السؤال، في المذهب ولازم المذهب، في الجهل بمصادر الشريعة، في عدم معرفة كيفيّة التعامل مع الفقه الإسلاميّ.

* قواعد التعامل مع الفقه الإسلاميّ:

- توخّي أدب وكيفيّة السؤال، ولْيكُن في الأُصول، بعيداً عن التفريعات والمتاهات، وبالإقلال منه، مرة واحدة تكفي.

- التفرقة بين مساحة الإجماع ومساحة الاختلاف. التعامل مع الفقه في صدد الاختلاف يكون علي أسس: إنما يُنكَر المُختَلَف عليه ولا يُنكَر المُختَلَف فيه/ المختَلَف فيه يسمح بالأخذ بالجائز/ الخروج من الخلاف مُستحبّ، فهو يُسبِّب الرحمة/ إذا أخطأ المُجتهِد له أَجْر وإذا أصاب له أجران/ أُمِرنا أن نُطيعَ ولم نُؤمر أن نعرفَ ما في ذاتِ الله، فهذا لن نعرفه إلا يومَ القيامة.

- ترتيب الأَوْلوِيّات مع التفرقة بين المسائل والقضايا

اتّباع هذه القواعد يجعلنا نحوِّل الفقه الإسلاميّ إلي جنّة، إلي رحمة لا إلي بلبلة كما هو الحال الآن. إذ تحوَّل الاختلاف إلي تضادّ، إلي نزاع وصراع صار نِقمة، لأنه سيؤدّي إلي البلبلة والتشتُّت. نحن بحاجة إلي تغيير المفاهيم لكي نَعِي أَنَّ الاختلافَ بين المذاهب الفقهية إنما هو رحمة لا تضادّ.

نحن بحاجة إلي ثقافة شائعة للفهم الصحيح للفقه الإسلامي.

ثالثاً: آداب السؤال

فن السؤال.. أزمة السؤال.. كيفيّة السؤال

* في سورة المائدة تنبيه في هذا الصدد : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا

عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ» (102) .

* وقال صلَّي اللهُ عليه وسلَّم في حديثٍ نبويٍّ شريف: «اتركوني ما تركتكم، فإنما هَلَكَ مَنْ قبلَكم كثرةُ السؤال».

* فن السؤال في عدم السؤال

* الأصل في الشريعة قِلّةُ السؤال إلا في الأُصول، فلا تحاول أن تسأل وتدقِّق في تفاصيل وتَشْغَل نفسَك بكثرة السؤال.

* سورة **البقرة** تتناول قضايا كثيرة غير قصة البقرة:

- فيها قواعد وأُصول السؤال وكيفيّة السؤال
- فيها قضيّة الخَلْق
- فيها الإيمان والكُفر
- فيها قَصص النبيّين
- فيها وَحدة المسلمين
- فيها كيفيّة التعامل بين الناس
- فيها شَغَل بنو إسرائيل أنفسَهم بتفاصيل البقرة ووَصْفها: ما هي؟ ما لونُها...؟

* الصحابة علَّمهم النبيُّ إلَّا يسألوا إلَّا في الأُصول، فاستجابوا له ولم يسألوه إلا في ثلاثة عشر أسئلة كلها موجودة في القرآن (يسألونك عن الخمر، عن اليتامي....) علَّمهم ألَّا يزايدوا في السؤال وعَوَّدهم علي ذلك.

* قال صلَّي اللهُ عليه وسلمَّ في حديثٍ له: «حياتي خيرٌ لكم ... ومماتي خيرٌ لكم...» نعم، حياتُهُ خيرٌ للمسلمين لأنه أخرجهم من الظلماتِ إلي النور ودلَّهم علي الله. ومماتُهُ خيرٌ لهم، فيه وقف التكليف وتحوَّل إلي رحمة، فأصبحت مساحةُ الحرام محدودة والمُباح واسعة.

* شَهْوةُ السؤال جعلتنا نخالف كثيراً من الآداب.

* من أدب السؤال:

- ألَّا يكونَ إلَّا في الأُصول بعيداً عن التفريغات

- أن يكون فيما ابتُلينا فيه وليس فيما نقدِّرُهُ نحن في أذهاننا

- أن يكونَ في مُهمّاتِ الأُمور وليس في سَفاسِفها (بعيدا عن اختَلال الأَوْلِويّات واختلال كمال العقل).

- أن يُوجَّه لعالِم واحد منعاً للوَسوسة

- أن يكونَ صادقاً بعيداً عن هَوَي النفْس ومخالفة الواقع، فلا تسأل وتنتظر الإجابة التي توافق هواك وتتمنّاها وتُرضيك

- أن يكونَ للعالِم المُتخصِّص ولا يتصدَّر أَحَدٌ غيرُه للفَتْوَي، فالدين عِلْم والإفتاء عِلْم والاختلاف يكون في المدارس العلمية: « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (قرآن كريم).

- العامّي لا مذهبَ له، المذهبُ لمُفتيك

- الفَتْوَي تحتاج إلي معرفة النصّ والواقع والربط بينهما

- الفَتْوَي تحتاج إلي علم وتدريب وفهم لنوع المُستفْتِي

- يجب البُعد عن العقلية الخُرافيّة

- نحتاج إلي تحريم التلاعُب في الفَتْوَي

أمثلة تطبيقيّة:

* **مثلاً السؤال عن كيفيّة الوُضوء:** نكتفي في الردّ عليه بمعرفة مراحله

* السؤال عن **الحِجاب:** نكتفي بما في القرآن والسُنّة من أنه واجب وصفاته ألّا يكشف ألّا يصف، ألاَّ يشِفّ ولا نسأل عن شكل أو لون مُعيّن له. وهناك أسئلة تفريعيّة لا داعِي لها مثل: ما رأيك في التحجيبة؟ في الإسدال؟ في الخِمار؟ في الخِمار المُسدَل؟

* السؤال عن **الخِتَان:** نكتفي بالرد أنه واجب في الذكور فقط، ولا يجب في الإناث لأن النبيَّ لم يأمُر به لهُنّ، وهو لم يفعلْه في بناته.

* السؤال عن طريقة **حفظ القرآن** لما فيه من مُتشابهات: نكتفي بما أشار إليه الرسول في حديثٍ له ضعيف «يكفي من حفظ القرآن خسماً خمساً، لا يُنسَي» بمعني خمس آيات ثم خمس أخري وهكذا كوسيلة طيبة لحفظه، ولا يمنع ذلك من الاسترشاد بالخِبرات في هذا الشأن.

* السؤال عن موعد **الطُهر من الحَيْض**: الردُّ الكافي: يبدأ من تسع سنوات، وقبل ذلك يُعتبر خَلَلاً يجب تداركه، ولا حَدّ أقصَي، عادةً ما يُرفع بعد الخمسين؛ أقلُّهُ يومٌ وليلة وأقصاه خمسة عشر يوماً، له وقتٌ من كل شهر وله قَدْر. ولا ندخل في تفصيلات أخري.

الهدف من التعريف بأدب السؤال:

- بناء العقلية بالعِلم القرآنيّ والعِلم النبويّ الشريف (السُنّة)

- بناء التفكير المستقيم

- السؤال يكون في ضروريّات تمسّ حياتنا اليومية وليس في مزيد من اللغْو والهشاشة والإسفاف

- هناك أسئلة يكون الإنسان بحاجة ماسّة إلي الإجابة عليها، يجب ألاَّ نحرمه من الإجابة عليها وهذه الأسئلة تكون في الأُصول وليس فوقها؛ وهناك أسئلة هشّة تصدُر من المُتنطِّعين، تدخل في تفاصيل وتفريعات لا حاجةَ بهم إليها، مثل هؤلاء لا نُكلِّفُ أنفسَنا الإجابةَ عليهم كما أَمَرَنا رسولُنا الكريم: المُتنطِّع في الدين هو كثيرُ السؤال في غير المُهِمّات فلا نُجيبُهُ علي أسئلةٍ له من هذا النوع.

رابعاً: الداء والدواء.. المرض والشفاء

نحن بصدد قضية ثنائية ذات شِقَّيْن، تقوم علي الازدواجية بين شِقّ مادّي من عالَم الشهادة، وهو العِلم، وشِقّ لا مادّي، روحي معنوي، من عالَم الغَيْب، وهو الإيمان، يُمثّلان معاً حبلاً مُرخَي وثِنْياهُ باليد، يد العلماءِ والأئمة والدُعاه؛ والمطلوب منهم البحث عن القاسم المُشترك بين

الطرفين، طرف العِلم وطرف الإيمان لتحقيق مُعضِلة التقاء متوازيين لا يلتقيان نظرياً، مطلوب وصْلُهما ببعضهما في تناغُم وانسجام بهدف إنارة العقول التي خيَّم عليها الظلام متمثِّلاً في الإلحاد بكل صُنوفه؛ تماماً كَطَرفَي السِلْك الكهربائي اللذيْن يؤدّيان معاً إلي الإضاءة، وبذلك يتم التخروج من الظُلمات، من الحَلَك إلي النور، من الغفلة إلي الصَحْوة فتتبدَّد الشُبُهات والشكوك والريبة بالحُجج الداحِضة.

الداء، متمثلاً في الإلحاد، بحاجة إلي التشخيص والتوصيف، والمريض هو الإنسان الذي جُبِل علي الفِطرة السَوِيَّة الإيمانية، وهو صَنْعةٌ إلُهيّة مُزدَوجة مُركَّبة من جسد ورُوح بمثابة عُملة ذات وَجهيْن كلاهما له غذاؤه بما يحفظ عليه سَويَّته التي جُبِل أو فُطِر عليها ليكون مُسخَّراً لتقبُّل الإيمان ومسُخِّراً لكل ما في الكَوْن من مخلوقات ومفردات.

أما الدواء فيستخلصه القارئ من طَيَّات السطور فيما هو آت من نُصح وعتاب في خطاب مُوجّه إلي من بلغ من الإلحاد أَوْجَهُ لعلّه يرفع إلي الله وجهه وإليه يتوجَّه طالباً عفوَهُ وصَفْحَه، ليعرفَ ويتيقَّن أنه، أي الدواء بيد الله وحدَه، ربِّ الأنام، الحيِّ القوّام علي كل نَفْس، الواحِدِ الأَحَد الفَرْد الصَمَد، الذي لا إلّه سِواه، والذي لم ولن ولا ينام، فهو الطبيب الشافي المُعافي والعبادُ مرضاه، شديد العذاب، شديد العقاب وأيضا رؤوفٌ رحيم غفَّار لَمنْ تاب وأناب. مَنْ يْهدِي الله فما له من مُضِلّ، ومنْ يُضْلِلِ اللهُ فما له من هاد، من يهدِي اللُه فهو المُهتدِي ومن يُضْلِل فلن تجد له وليًّا مُرشداً، وإنك لا تهدي من أَحْببتَ ولكنَّ اللهَ يهدِي من يشاء. من عمل صالحاً فلنفسه ومن ضلَّ فعليها. اللَّهمَ لا هادِيَ لَمنْ أضلَلْت ولا مُضلَّ لَمنْ هَدَيْت. ماذا وجد من فَقَدَ الله وماذا فَقَدَ مَنْ وجد الله؟ اللَّهمَّ إنا نِعزُّ بعبوديتنا لك، ونَشْرُفُ بربُوبيَّتك لنا، فلا تآخذنا إن نَسينا أو أخطأنا، ولا بما فعل ويفعلُ السُفهاءُ منَّا، كُنْ لنا ولا تكُنْ علينا، اغفر لنا ما مضي

واعفُ عنَّا فيما بَقَي. رضينا بك رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمدٍ نبياً ورسولاً، وبقضائك وحُكمكَ إيماناً ويقيناً بحِكمتك!

(١) تعريف الإلحاد:

- الإلحاد ظاهرة قديمة حديثة للانحراف والعِوَج والَميْل عن الفِطرة البشرية السَوِيَّة، إذ أنَّ هناك إلحاداً عربياً قديماً وآخر غربياً معاصراً، ولكلٍ ممثَّلوه.

- الإلحاد فكرٌ مادِّيٌّ بحْت ومدٌّ فكريٌّ عارِم يرتبط اجتياحُه بالَمدّ الحضاريّ المادّيّ المعاصر، له خلفيّتُه ودعائمُه وأشكالُه ومستوياتُه ومُصطلحاتُه وحُججُه المردود عليها بالتفنيد الذي يَدْحَضُها.

- الإلحاد في مفهومه وكُنْهِهِ إنكارٌ لوجود الإلُهّ.

- الفكر الإلحادي المعاصر[١] يتبنَّي عدّة مفاهيم هي بمثابة دعائم له، وهي:

١ - نشأة الكَوْن تلقائياً نتيجةً لأحداثٍ عشْوائيّة دون الحاجةِ إلي صانع.

٢ - الظهور الذاتي للحياة من المادية طِبقاً لقانون الطبيعة.

٣ - فيزيائية الفرق بين الحياة والموت التي سيكتشفها العِلم يوماً ما.

٤ - فَناء الإنسان بالموت لكوْنه جسداً مادّياً وفقط.

٥ - انتَفاء الرُوح.

٦ - انتَفاء الحياة بعد الموت.

٧ - انتَفاء الوجود الإلهُي.

- الفكر الإلحادي له **مستويان** - نقول بوجودهما مع مؤلف كتاب «خُرافة الإلحاد» - هما :

١ - مستوي إيجابي قوي يُنكر ممثّلوه وجودَ الإلُه ويسوقون الدليلَ علي ذلك من خلال نظرياتٍ يختلقونها.

٢ - ومستوي سلبي ضعيف لم يجد ممثّلوه الأدلّة الكافية الُمقنعة

(١) «خرافة الإلحاد» للدكتور عمرو شريف ص ٣٤ وما بعدها.

التي تبرهن علي وجود الإلُه.

- للإلحاد أيضا مصطلحاتُه ([1]) : ....

- ملامح أو مبادئ مذهب الإلحادومُعتنقيه:

نعرضها في عُجالة بالتوافق التام مع مؤلف كتاب «خُرافة الإلحاد» كالتالي:

١ - الجهل والكِبْر والأنانية والغُرور، وهي صفات يرمون بها كلَّ مَنْ ليس منهم.

٢ - ادِّعاء الحكمة والذكاء.

٣ - انتفاء الأخلاق.

٤ - الإباحيّة بعد التخلّص من قيْد الدين تحت شعار «عِشْ كما يحلُو لك».

٥ - إنكار وجود الإلُه.

٦ - إنكار البعث واعتبار الإيمان به عجزاً عن مواجهة الموت الُمهلِك.

٧ - الإيمان بالفناء.

٨ - اعتبار التديُّن قِلَّة حِيلة واعتبار الدين والإكراه عليه سُوءَ استغلالٍ للبشر واتجاراً بهم وبالتالي فهو مُهلِك للحضارة.

(٢) بداية ظاهرة الإلحاد المعاصر:

مرّ الإلحاد المعاصر بمراحل زمنية عبر التاريخ بدايةً من العصور الوُسطَي حيث هَيْمن رجالُ الكنيسة في أوروبا علي الدين والعِلم، تجلّت هذه الهَيْمنة في اضطهاد العلماء وتعقُّبهم بالتعذيب والقتل، ثم جاءت الثورة العلمية باكتشافاتها الحديثة في أعقاب العصور الوُسطَي ودبَّ الصراع بين العلم والدين في أوروبا فاهتزَّ علي إِثْره عرشُ الدين وتزلزل وسيَّد إنسانُ العصر مكانَه العِلمَ ومُنجزاته ورفع شِعار «لا إلُه إلَّا العِلم» و «الدين أفيونُ الشعوب».

---

(١) للوقوف علي مُسمَّياتها والفرق بينها «خرافة الإلحاد» للدكتور/ عمرو شريف ص ٣٦

(٣) دوافع ومُسبّبات الغزْو الإلحادي الغربي المعاصر:

الإلحاد المعاصر بِدعة غربية أوروبية نشأت في رَحِم الثورة العلمية المعلوماتية في إطار ما يُسمَّي بالعَوْلَمة التي استهدفت إسقاطَ الحواجز بين الحضارات ومهَّدت للغزو الإلحادي. يقوم الإلحاد الغربي المعاصر - كما يقول د/ عمرو شريف - علي المنطق والبرهان والتجربة الملموسة المحسوسة كدعائم للفكر المادّي البحْت ويُناهِض بالتالي كلَّ ما لا يقوم علي هذه الدعائم المادية ولا يسُوق البراهين، كالعلوم الإنسانية والدينية. تمخّض عن هذا الفكر المادي الخالي من الروح الحضارة العصرية القائمة علي ثلاث مُفردات: الإنتاج - الاستهلاك - الاستمتاع، وتراجع أمامها الفكر اللا مادي الذي يؤمن بوجود الإلٰه. هذا الفكر الُمناوِئ للفكر الديني تطوَّر من سَيِّيءٍ إلي أسوأ، من الإنكار إلي العداء للدين، خاصةً دين الإسلام.

من ضمن أسباب تزايد الَمدّ الإلحادي منذ سنة ٢٠١٢:

- شبكة المعلومات (الإنترنت) ومواقعها الإلحادية التشكيكية التي يسَّرت للشباب مُطالعة ومتابعة انتشار الفكر الإلحادي في العالَم.

- هبوب الثورات العربية الأخيرة التي ضخَّمت حرية الفكر والتعبير عنه.

- التصدّي لرموز السلطة والعمل علي إسقاطهم من علي عروشهم، مما شجَّع علي التنكُّر للرمز الأعلَي المتمثِّل في سُلطة الإلٰه الُمهيْمِن من خلال الدين.

- الفكر الديني التقليدي القاصر عجز عن احتواء الفكر الإلحادي الُمنحرف الُمنصبّ علي التراث بعيداً عن الُمنجزات العلمية الحضارية الحديثة.

انبثق عن هذه الُمسبِّبات الخلفية تياران متناقضان: تيّار غربي متمثّل في الحضارة المادية الُملحِدة وتيّار شرقي يسعَي جاهداً في التصدّي للفكر المناهِض للإسلام.

(٤) أنماط الإلحاد المعاصر المعادية للدين (تصنيفات موضوعية وشخصية)

- المُلحِد واحد من خمسة، كما يري د/عمرو شريف ونري معه، إما عالِم يتيه في علمه، أو فيْلسوف أو شيُوعي أو غير متخصّص يتملَّص من أغلال الدين أو يكتُم شكوكَه في صمت مُطبَق، أو علماني أو هناك أنماط أو تصنيفات موضوعية من الإلحاد [١] عدّدها بحِرفيّة د/ عمرو شريف في كتابه «خُرافة الإلحاد» استنبطها من الواقع، من أمثلة تطبيقية ملموسة، بالحوار والمناظرة والإقناع من خلال حُجج مُفْحِمة تعكس الواقع المملوس.

ألحق د/عمرو شريف هذه التصنيفات الموضوعية بأخري من وجهة نظر مُعتنقيها ممّن يدينون بدين الإلحاد. يدافعون عنه ويحرصون كل الحرص علي نشره ويُصوِّبون من مذهبهم هذا السِهام إلي غيرهم ممّن هم ليْسُوا منهم، وهي تصنيفات مهمّة تكشف عن عداء سافر للإسلام وهو المقصود بسهامهم وإصرار علي محاربته والقضاء عليه، ولكن هَيْهات، فإن الله يقضي ولا يُقضَي عليه ويعلُو ولا يُعلَي عليه، لا يذلُّ مَنْ والاه ولا يعزُّ من عاداه.

ويُعقِّب د/ عمرو شريف علي كل ما سرد من أنماط وصُنوف الإلحاد بعبارات ختامية تلخيصيّة استخلاصيّة تجذب من يقرأها وتتنزل برداً وسلاماً علي قلبه فيقول: «كل هذه الأنواع أو الصُنوف من الإلحاد بما وراءها من دوافع ودُفوع لإنكار الأُلوهيّة والتوحيد ما كانت ولا تكون إلا بفعل النفْس الأمّارة بالسوء وقرينها الرجيم الوّسواس الخَنّاس الذي يزجّ بالناس بوَسْوَسته الخبيثة في غيابات الغفلة بعيداً عن رب الناس مِلك

(١) لمزيد من التفصيل - د/ عمرو شريف، «خُرافة الإلحاد» ص ٤٣٠ وما بعدها حيث يطالعنا بأنواع من الإلحاد شيَّقَة من خلال حوارات (سؤال وجواب) نلقي الضوء علي ما يدور في أذهان الملحدين وما يختلج في صدورهم ويميل بهم إلي الخروج عن قُضبان الإيمان ويزجّ بهم في مُستنقع الإلحاد فيُشوِّه هذه الأذهان بما يعلق بها من شوائب تجرُّهم في دوّامة إلي الدَرك الأسفل مُثقَلين بما ينُوء به كاهلُهم من الأوزار التي تجعلهم وقوداً للنار في دار القرار.

الناس إلُه الناس. إنْ يتّبعون إلَّا الظنّ وإنْ هُم إلّا يخرصون وكبُرت كل ما خرجت وتخرج من أفواههم من كلمات وتفوُّهات، إنْ يقولون إلَّا كذباً وافتراءً». [1] ويدعو وندعوا معه لهؤلاء المُغيَّبين ونقول:

اللُّهُمَّ اهْدِ هؤلاء القوم غير أُولِي الألباب فإنهم لا يعلمون، ولسوف يعلمون أنَّ انحرافَهم ومُيولَهم السلْبيّة مرجعُها إلي عوامل التنشئة المحيطة بهم منذ نُعومة أظفارِهم والتربية والتعليم الذي تلقَّوْهُ في الغرب وأخيراً عبر وسائل (قُل: سُوء) التواصُل الاجتماعي التي أثَّرت علي عقولهم بالسلْب وخيَّمت عليها فأخرجتهم من النور إلي الظلمات ولن يُفيقوا من غفلتهم إلّا إذا صاروا في عداد الأموات، فهم نيام أو أموات بين الأحياء، فإذا ماتوا صَحَوْا.

إن مهمة الأئمة والدُعاة دراسة هذه الدوافع والشبُهُات ومحاولة إقامة الحُجج الُمقنعة عليها ودَحْضها حتي يرتدَّ الُملحِدون عن إلحادِهم ويثوبوا إلي رُشدهم؛ مطلوب منهم الربط بين العِلم والإيمان.

(٥) الإلحاد في العالم الإسلامي [٢] :

فُطرت أو جُبِلت النفْسُ البشرية السَويّة علي الإيمان بالوجود الإلُهي، الإنحراف عن هذه الفِطرة بإنكار الوجود الإلُهي يُورِّث الكُفر ويُولِّد أنماطاً تشمل الادّعاء والإنكار والإشراك والضلال وما شابه ذلك مما رانَ وغطَّي علي قلوب مُدَّعي الأُلوهيَّة والُمنكرين لها والدهْريين أصحاب شِعار «وما يُهلِكُنا إلّا الدهر» الذين يُنكرون البعْث ويكذِّبون به وبالتالي بالثواب والعقاب، والمشركين الذين يعبدون مع الله إلُهاً آخر ليُقرِّبَهم إليه زُلفَي والربوبيِّين الذين يُنكرون علي الله تواصلَه مع خلقِه من خلال الرُسُل والأنبياء، والضالِّين الشبيهين بالُمشركين.

نشأ الإلحاد في الحضارة العربية الإسلامية مع حروب الرِدَّه بعد عصر

(١) د/ عمرو شريف «خرافة الإلحاد» ص ٤٤٦ وما يلها.

(٢) لتفاصيل أكثر - د/ عمرو شريف «خُرافة الإلحاد» ص ٤٠٩ وما يليها.

نبيّ الإسلام سيدِنا محمد، والتي خاضها الخليفة أبو بكر الصِدِّيق من أجل استقرار الخِلافة الإسلامية، والذي صاحب حدثيْن هامّيْن علي الساحة العربية الإسلامية، ادِّعاء النبُوَّة ومنع الزكاة. نتجت عن هذه الحروب مذاهب عديدة. بلغت الحضارة العربية الإسلامية قمّتها ثم بدأت في الانحدار فالإنهيار ثم ظهر الإلحاد تحت تأثير الفكر المادِّي العقْلاني الذي اتسِّمت به الحضارات البالية في أَوَّل صُور المناهَضَة للسُنَّة.

(٦) أسئلة ومزاعِم فاسدة نابعة من فكرٍ فاسد:

فيما يلي نتعرض بالعرض والنقد البنّاء لما يدور في أذهان الُملحِدين من تساؤلات فاسدة ومزاعم وافتراءات واتهامات باطلة مبنيّة علي باطل، وذلك من خلال كتابين للكاتب المعروف د/ مصطفي محمود، الأَوَّل من تأليفه بعنوان «حوار مع صديقي الُملحِد» والآخر عن كتابه «رحلتي من الشكّ إلي الإيمان» بعنوان «رحلة الشكّ واليقين» بعد المآب والَعْود الحميد الذي انتهت إليه هذه الرحلة التي قطعها ليقطعَ الشَّك الذي ساوره طويلاً باليقين، وقد حدث وتم مُرادُه منها والحمدلله. يدوربخَلَد الملاحِدة أسئلة وتساؤلات فاسدة غير منطقية مردود عليها بالحُجة والدليل، ينبُع فسادُها من مَعين فكر فاسد ومُنطَلَق خاطِئ، ما يَحْدو بنا إلي القوْل أَنَّ ما بُنِيَ علي باطلٍ فهو باطل فصلة قاعدة قانونية وشرعية معروفة.

١ - الُمنكرون يأخذون بمنطِق أو **قانون السببيّة** الذي يقول بأن لكل صنعةٍ صانع، ومن هذا الُمنطلق يسألون عمَّن خَلَقَ الخالق فيجعلون بذلك من الخالق مخلوقاً في ذات السؤال ويساوون بينهما بمقاييس ومعايير بشرية دنيوية ملموسة ومحسوسة لديهم، وهنا يكمُن التناقُض والتضارُب الذي يكيلون من خلاله الاتهامات للمتديِّنين المؤمنين.

نردّ علي سؤالهم هذا بالتوافق مع د/مصطفي محمود من خلال كتابه «حوار مع صديقي الُملحِد» ونقول أن قانون السببيّة هذا قانون

وضْعي صاغَهُ البَشَر الُمقيَّدون بالزمان والمكان، أما اللهُ الخالق فهو ربُ الزمان والمكان، هو فوقهما، خلقهما وخلق مَنْ وضع هذا القانون الذي يتشدَّقون به، والعقل البشري الذي وضع هذا القانون هو الآخر صَنعتُه ولكنَّه محدودٌ لا يُدرك لاحدوديَّةً الواجِد الموجود في كل الوجود، السبب الأَوَّل والُمحرِّك الأوَّل الذي لا قبلَهُ أَوَّل، والآخر الذي لا بعده آخر وليس بحاجة إلي بُرهان أو دليل كما يَبِيُن من الحديث القُدُسِيّ الذي يسوقه د/ مصطفي محمود: «أنا يُستدلُّ بي.. أنا لا يُستدلُّ عليّ» ومن سورة الإخلاص « قُل هو اللهُ أَحَد...» التي تردُّ ردًّ قاطعاً علي زعْم المُنكرين الفاسد الذي يقول بضرورة وجود خالق للخالق.

فيما يختص بهذه القضية الإلحاديّة، قضية السببيّة والتساؤلات حولها يتساءل الكاتب/ مصطفي محمود في حوار مع نفسه في رحلته ابتداءً من الشك وُصولاً إلي اليقين عن مُبرِّرات الرغبة في استكشاف الُمسلَّمات الموروثة التي فُرضت عليه دون تخييره في قبولها والاقتناع بها والتي تتمثَّل في الإيمان الوراثي أباً عن جَدّ، من خلال مراجعة تفنيدية تأمُّليّة، تلك المراجعة التي توخّاها الإمام الغزالي رغبةً منه في ترسيخ الإيمان في نفسه وتحويله إلي إيمان مُكتسَب عن طواعية واختيار لا عن وراثة جَبْريّة، ولكنه فشل في الوصول إلي اليقين عن طريق الشك، وقطع الشكَّ باليقين عن طريقٍ دينيّ يتمثّل في مفهومه في التصوُّف، في النور الإلُهيّ علي ثلاث مراحل أو درجات متعاقبة: أَوَّلُها الُمجاهدة الصوفيّة أو الزُهْد، ثانيا الاعتكاف وكثرة العبادة، ثالثُها الحَدْسُ القلْبيّ أو الحِسّ القلبيّ، بمعني أن الله يقذف بنوره في قلبه مكافأةً علي كثرة العبادة، وبذلك تحوَّل من الإيمان الوراثي إلي الإيمان المكتسب.

وهاهو الكاتب/ مصطفي محمود يحْذُو حَذْوَه ويسلُك نهجَه ولكن بالمخالفة، عن طريق الشك، فكانت رحلتُه من الشك إلي الإيمان واليقين

والتي يُسمّيها «إعادة نظر منهجيّة» أو «بداية جديدة بلا مُسلَّمات موروثة» و «رجوع إلي الصفحة الأُولي، «إلي مبدأ الفِطرة».

نُعلِّق فنقول في هذا الصدد: أياً كانت المُسمَّيات التي اختارها كاتبنا/ مصطفي محمود لرحلته وُصولاً إلي الإيمان واليقين فإن إنكارَه لله الخالق وخوضَه في السؤال عمَّن خلقه هو في حد ذاته كُفرٌ بالله - والعياذُ بالله - وإلحاد وميْل عن الفِطرة السَوِيَّة التي فَطَرَ اللهُ الناسَ عليها والتي يتخذها كاتبنا بدايةً لرحلته، فقد انتابته الحالة النفسية التي تلازم المُلحِد وتُخرجه من النور إلي الظلمات وغياباتها، بدأ برفض عبادة الله واستبدلها بعبادة نفسه وذاته وعقله في زَهْو وصل إلي درجة العبادة، غَرّر به وجَرَّه إلي حلقة مُفرَغة بلا بداية أو نهاية سلَّمتهُ إلي حلقات من إعادة النظر فدار في فَلَك الجَدَل والجِدال، يبدأ ولا ينتهي ليبدأ ويستمر بلا انقطاع جَرْياً وراءَ شهوة الحوار والمُحاجَجة بالفكر لا بحثاً عن الحق والحقيقة. إنه الإسراف بعيْنه في العقلانيّة والغُرور الذي جَرّهُ إليه الغَرور (الشيطان إبليس) فجعله يتوهَّم أنه القادِر المُقتدِر القدير علي كل شيء والقاهر فوق كي شيء. « أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» (الجاثية: ٢٣) هَوَي النفْس الأَمّارة بالسُوء والعِلم المادِّي البَحْت، بعيداً كل البُعدِ عنِ العقيدة وغَيبيّاتها واسِتغراقاً في الحْيثيّات الواقعيّة والشواهد الحِسّيّة المنظورة والملموسة، واكتفي من خلال هذه النظرة العلمية المجرَّدة لكل مناحِي الحياة بما رأت عيناه ولمست يداه اعتقاداً منه بأن هذا المنهج وهذا المَسلَك سيُحقِّق له التقدم والتحضُّر والتطورُّ والقوة التي تفِي بحاجات العصر ورفع شِعار «لا إله إلَّا العِلم».

إن البحث في ذات الله وعدم التسليم بوجوده وهَيْمنته هو الكُفْرُ بعيْنه الذي يحاول كاتبنا/ مصطفي محمود أن ينفُضَهُ عن نفِسه ويتنصَّلَ منه، والحمدُلله أنه كفر ثم آمن وعاش حتي اهتدي وارتدَّ إلي «حظيرة»

الإيمان، إنها مُجازَفة خَطيرة وغير محسوبة، فما كان يُدريه أن في العمر بقيَّة تُمهِلُه وأن الأجل سيمتدّ به حتي يعرفَ الطريق إلي الله؟! ولنا هنا تعليقٌ خاطِف علي العُنوان الذي اختاره لكتابه «حوار مع صديقي الُملحِد»: الُملحِد جليس سُوء كنافخِ الكير - كما ورد في الحديث النبويّ الشَريف - والمؤمن مُطالَب من خلاله بمجالسة الصالحين وارتياد مجالسهم، والمؤمن لا يدخل بيتَه إلا مؤمن، فكيف اتخذ كاتبُنا من الُملحِد صديقاً له، تقول الحكمة: «الَمْرءُ علي دين خليله»، و «قُلْ لي من تُخالِل.. أَقُلْ لك من أنت»، وانظر الآيات من سورة الكهف: « وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ....» (الكهف: ٢٨ - ٢٩).

وبناءً عليه نري أن عَنْونة كتاب «حوار مع صديقي الُملحِد» غير مُوفَّقة، فهي تَسِمُ الصداقةَ بسَلْبيّات غير مرغوبة ومكروهة، فكلمة «صديق» مُشتقَّة من الصِدْق، والصديق يُصدُقُكَ القوْل، أما الُملحِد فلا، إنه يُخادع ويُراوِغ ويُهاجم ويأحر بالُمنكَر وينهيَ عنِ المعروف ليُخرجَك من النور إلي الظُلمُات التي يعْمَهُ هو فيها قاصداً إخراجَكَ من دائرة الإيمان، والأَحْرَي بك أن تنفِرَ منه، لا تُصادقه!!!

٢ - زعْمٌ آخر للمُلحِدين، هو حلقة في سلسلة القضايا الإلحادية التي يتبنّونها، يدور **حول إنكارِهم التوحيد والوَحدانية لله** الجامعة لكل التخصّصات والتي نادي بها إخناتون أحدُ ملوِك قُدماءِ المصريين، زارعاً بهذا النداء البذرة التاريخية للتوحيد، وإيثارِهم التعدُّديّة الإلُهيّة التخصُّصيّة، إيماناً منهم بأن لكل تخصّصٍ إله. ويُزكّي القرآن في مُحكَم آياته مبدأ الوَحدانية لله فيقول مُنزِّلهُ سبحانه وتعالي: « وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ

إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» (سورة: النحل ٥١)، « لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا» «... ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتُلْقَي في جهنم ملوماً مدحوراً». (الإسراء: (٢٢) و (٢٩))، « قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آَلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا». (الإسراء : ٤٢ و ٤٣).

«وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ..» (الإسراء: (١١١))

« وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ»..

« وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ..»..

«لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ». « لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ».. «وما أرسلنا من قبلِكَ من رسولٍ إلّا نُوحي إليه أنه لا إلَه إلّا أنا فاعبدونِ» (الأنبياء: (١٦)، (١٩))، (٢٢) - (٢٥). « مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ» (المؤمنون: ٩١).

نرد مع د/ مصطفي محمود من خلال كتاباته علي هذا الزعم الفاسد الذي يُنكرُ فيه المُعرِضون الوَحدانية لله ويؤمنون بالتعدُّدية الإلهيّة، أنَّ الخالق واحدٌ لأن الكوْنَ نواتُهُ واحدة وخامتُهُ واحدة، سواء كانت الخليّة إنساناً أو حيواناً أو نباتاً، وخالقها واحدٌ صحيح كامل غير ناقص، بغير حاجةٍ إلي مَنْ أو ما يُكمِّله، أما التعدُّدية تلك فمِن سِماتِها النقصُ والحاجةُ إلي الاعتمادِ والاعتدادِ والاكتمال.

٣ - زعمٌ آخــر في سلسلة المزاعم الإلحــاديّة يتمثّل في سؤال المُلحِدين المُنكـرين عنِ **الرُبــوبيّة والعُبوديّة** ومفهــومها. نردُّ عليهم مـع كاتبنا د/مصطفي محمود فنقول أن الله وحدَهْ جديٌر بها لإحاطته بكل شيءٍ

عِلْماً؛ صغيراً كان أم كبيراً، وأنَّ هذا العِلمَ مُسْبَق؛ أما تشكيكهم في العبودية لله فهو نابع من فهمهم الخاطِئ لها علي أنها استغلالٌ من السيد للعبد، إنه فهمٌ قاصر لا يُدرك أنها عطاءٌ غيرُ محدود من الربّ الإله السيد الُمنعِم الذي يَنعَمُ في ظِلِّهِ العبد بالعِزّة والكرامة ويشرُفُ بها لأنها تُحرِّره من كل الطواغيت الدنيوية المادِّية، إنه السيدُ الغنيّ من عبادِه وهُمُ الفقراءُ إليه أصحاب المنفعة والمصلحة التي تعودُ عليهم عن العبودية له، إنه يُعطِي ولا يأخذ، يُنعِم تُلغي ولا يحرِم، ويتواصل مع عباده أو عبيده من خلال ما فرض عليهم من العبادات، صِلة ذات دَيْمومة لا تنقطع ما حييَ العبدُ المؤمن مـَتَّبِعاً منهجَ وشِعار «**لا إلَهَ إلَّا الله**»، شهادة ينأَي بها بنفْسه عن كل الشهوات الدنيوية المادِّية ويعلُو بها فوق كل ما دون الله، نافياً بها عن نفْسِه الشِرْكَ والكُفْر وكل مُغريات الدنيا من الطواغيت التي تستعبده، ولابدَّ أن تنبُعَ هذه الشهادة من سُوَيْداء القلب الذي يأمُر صاحبَهُ بالتسليم بها ولها، بالعمل من خلال الجوارح لا بالقوْل فقط، فإن الإيمانَ الحق هو ما وَقَرَ في القلب وصدّقه العمل.

٤ - أثناء متابعة سلسلة المزاعم الإلحاديّة توقَّفنا عند الادِّعاء بأن **الُمعجزات الإلَهِيّة** في مفهوم الُمنكرين الُمعرِضين خَرْقٌ للنُظُم والقوانين لا يُمتُّ للعقلانيّة بصِلة. يردّ علي هذا الزعم د/ مصطفي محمود فيقول مُحاولاً إقناعَهم بإقامة الحُجّة باعتبار هذا الفهم خاطئاً ونابعاً من جَهلهم بالعِلم الإلهي والقانون الإلَهِي الذي يفوق مُستويَ إدراكهم، بَيْدَ أنّ هذه الُمعجِزات واقعيّة وملموسة مثل النار التي أراد بها المشركون إحراق سيدنا إبراهيم ولكنَّه لم يحترق، ولم يمسُّه سوءٌ منها بأمر الله، وهم أنفُسُهم شاهد عِيان علي هذه الُمعجزة، وليست محلاًّ للإنكار، إنما هو الكِبْرُ والجهل والتجاهُل علي سبيل الصَلَف والعِناد والُمكابرة، وما النارُ إلا مخلوقٌ من مخلوقات الله يخضع له بين الكافِ والنُون، يأمره أن يكونَ

فيكون؛ وعصا موسَي التي شَقَّ بها ماءَ البحر فنتجت عن ذلك أرضٌ يابسة عَبَرَ عليها هو وأتباعُه من المؤمنين به، وغيرها من المعجزات الإلَهيّة التي تتّسِق مع القانون الإلَهي الذي يعلُو فوق إدراك العقل البشري صَنْعةِ الله.

٥ - نستكمل المسيرة ونتابع مع د/ مصطفي محمود من خلال كتاباته حلقات سلسلة المزاعم والادّعاءات والافتراءات التي تُراوِدُ الُملحِدين المادِّيين الُمنكرِين لظواهر عَيْنيّة وغيْبيّة هي ليست مَحَلّاً للإنكار بل هي جديرةٌ بالإيمان بها لو كان من أولِي الألباب الذين لهم قلوبٌ يفقهون بها. هُم ينكرون **العَوْد** أو **البعث** أو **المَعَاد** يوم الميعاد. ونردُّ عليهم من خلال قلم د/ مصطفي محمود الردَّ الُمفحِم بما يَضْحَد قَوْلَهم بآيات كَوْنيّة قانونية منتظمة يلمسونها ويروْنها لو أنهم يُبصرون وينظرون حَوَاليْهم. يقول كاتبُنا ونقول معه أنَّ لكل شيءٍ عَوْدًا دَوْرِيّاً يُرجِّح البعث حتي التاريخ والحضارات علي مَرِّه لها دَوْرات، والدليل واضح في تعاقُب الليل والنهار وانسلاخ الأخير من الأَوَّل، وفي تكرار الشروق والغروب بانَتظامٍ دقيق ومواعيد مُحدَّدَة، ما يقولون عنه أنه من قبيل الصُدفة، لابل هو انضِباطٌ طبيعيّ إلَهيّ مُحكَم بقَدَرِ الله الُمهيْمن الذي خلق كلَّ شيءٍ وقدَّرهُ تقديراً، وفي فصول أربعة تتكرّر بالعَوْد السَنِويّ المتعاقِب، وفي اليَقَظَة اليوميّة يتبعها نومٌ ثم يَقَظَة مرة أخري ومِثلها صَحْوٌ ثم مَوْتٌ ثم صَحْوٌ أو حياة ثم مَوْتٌ ثم حياةٌ أُخري تساوِي البَعْث، وما الموتُ إلَّا أَخُو النَوْم. وهكذا نصل مع كاتبنا إلي حقيقة عقلانية علميّة دامغة لا يُنكرها إلّا جاحِد ومُكابِر ومُعانِد له عقلٌ لا يُعمِلُه وله عَيْنان ولكنَّه لا يُبصرُ بهما وقلبٌ مُغلقٌ رانَ عليه وخَيَّم عليه الكِبْر والميْل عن الحق والحقيقة فعمِيَ عن سُنّةِ الله في خَلْقه من الظواهر الكَوْنيّة الطبيعية، ولن تجدَ لسُنَّةِ اللهِ تبديلاً. فنِعْمَ الدليل الذي ساقهُ كاتبُنا ووُفِّقَ إليه بإعمالِ عقِله، ونحن

معه فيما ساقَهُ من براهين وأَدِلّة نُؤيِّده ونعضُده، رَضِيَ من رضي وأَبَي من أَبَي من المُشكّكين.

٦ - ونُوالي متابعتنا للمزاعم والادِّعاءات الإلحاديّة ونتعرّض مع كاتبنا د/ مصطفي محمود لقضيّة **الوَحْي** والتشكيك فيه، ونُدلِّلُ عليه معه من خلال آليّات العصر الحديث.

المُلحدون يشكّكون في التنزيل وينسبونه إلي سيدنا محمد ويقولون أنه من تأليفه هو وليس مُنزَّلاً عليه من الله، ونردُّ مع كاتبنا د/ مصطفي محمود علي هذا الزعم والافتراء فنقول بالاستدلال والتدليل أنه ليس مُؤلَّفاً ولا من صُنعِ بشر، إنه وَحْيٌ من الله إلي رسوله الكريم نزل عليه به الروحُ الأمين جبريل، ويْسهُلُ التصديقُ بأنه وَحْي في ضَوْء المُنجَزات والاكتشافات العلمية الحديثة، من أشِعّة غير مرئيّة وأمواج لاسلكية...، والتأليف الذي يقولون به في حَدّ ذاته فوق طاقة البَشَر وقُدرتهم مما يجعل هذا الزعم مُستحيلاً، بيْدَ أنّ محمداً كان أُمِّياً لا يقرأ ولا يكتب.

وللدلالة علي أن القرآن مُنزَّلٌ بالوَحيِ من لَدُن حكيمٍ خبير نسوقُ مع كاتبنا **أمثلة تطبيقية** وشواهد مُفحمِة ودامغة من خلال البناء اللغوي للقرآن، فهو مزيٌج من الشِعر والنثر، له موسيقي باطنة غير ظاهرة علي غير عادة العرب في أدبهم. بناءُ عباراته وإيقاعُ كلماته مُوظَّفٌ لُمواءمة المعاني والمشاعر بمنتهي الدِقّة اللفظية والمجازيّة والعلمية والجمالية موزونة بميزان دقيق، فنّياً وأدبياً، كل كلمة بل كل حَرف في مَوْضِعه دون تقديم أو تأخير(١)؛ كل آياته تنطقُ بدّقةِ المعانِي والمبانِي بما يتوافق مع عِلم لغة النصّ.

القرآن يْزخَر بالحقائق العلمية الكَوْنية المطابقة لُمنجَزات العصر التي تُدلِّل علي أنه ليس من صُنعِ بَشَر وليس مُؤلَّفاً، وهذه الحقائق العلمية

(١) لمزيد من التفصيل - مصطفي محمود، حوار مع صديقي المُلحِد ص ٧٥ وما يليها.

لم تكُن وقتَ نزول الوَحْي القرآنيّ معروفة ولم تخطُر علي بال بشر فَصْله لم تُعرف إلَّا مُؤخَّراً، فقد ثبتت فيما بعد التنزيل ولا تَضَارُب أو تناقُض بينها وبين ما جاء به القرآن من حقائق علمية و « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا» (النساء (٨٢)) كما في الكتب الُمؤلَّفة التي دائماً أبداً بحاجة إلي تدارُك ما بها من نقائص في طبعات متلاحقة لأنها من صُنع البشر، تتبدَّل وتتغيَّر، أما القرآن فهو مُعجزة كاملة شاملة صادرة عن الذاتِ الإلَهيّة الكاملة، معجزة تشمل ما كان وما سيكون من نُبوءات تحقّقت علي أرض الواقع. الإعجاز القرآني نابع من الصِدق الُمطلَق مقابل الِصدق النِسْبي للكتب الُمؤلَّفة التي تتبدَّل علي مرّ الزمن لأن المؤلِّف بَشَر علمُهُ قاصِر ومحدود ومُتغيِّر ومُتفاوِت، أما عِلُم الله، مصدر الوَحْي، فمُحيط وشامل وغير محدود ومُطْلَق.

كل هذه الاستدلالات والحُجج الدامِغة يُضافُ إليها إعجازٌ مُتناهِي الدِقَّة يُبرهِن علي أنَّ القرآنَ ليس من صُنْعِ بشر أَلَّفَهُ علي مُرادِه بل من صُنْعِ قُدْرةٍ إلَهيّة حاكمة ومُحِكمة تعلُو ولا يُعلَي عليها، تقدِر علي ما لا يقدِر عليه بشر وتعلَم ما لا ينمو إلي علمه، طاقة مُطْلَقة ذات عِلم مُطْلَق غير محدود ومُسبَق ينفرِدُ به اللهُ الفاعل الحقيقي الذي أَوْرَدَ بالقرآن في بدايات سِوَرٍ كثيرة منه حُروفاً لفظيّة مُتراصَّة بدقّةٍ وإحكامٍ وإعجازٍ يُثْبِتُ أنها ما جاءت من قَبيل الصُدفة كما يدّعِي الُمنكرون الُمشكِّكون، بل وراءها تجارب حسابية إحصائية مَتوالية تابعة لقوانين مُحكَمة وموازين دقيقة تُثبت أنَّ القرآن ليس من عندِ غيرِ الله وتَنْفِي نَفْياً باتّاً شُبهة تأليفه بواسطةِ البشر، وذلك من خلال دراسة تفصيلية لعالمِ مصري باحِث بأمريكا كما يكشف لنا كاتبُنا د/مصطفي محمود في صفحات كتابه «حوار مع صديقي الُملحِد» عن استحالةِ انتساب القرآن إلَّا إلي من أنزله بالَوحْي مُستشهِداً بالآية (١٧) من سورة الشوري: « اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

وَالْمِيزَانَ» وبالإحاطةِ عِلماً القَبْليّة.

نواصل تناول حلقات سلسلة المزاعم الإلحادية بما فيها من **ازدواجيات** بالتدريج من المهمّ فالأهمّ. من هذه المتوازيات التي علي عكس طبيعتها المعروفة - الُمتوازيان أبداً لا يلتقيان - تتلاقَي في بُنيان الإنسان: التسيير والتخيير، الروح والجسد أو اللامادِّية والمادِّية، وفي خطوة لاحقة نتطرَّق إلي ثنائيات أحد طرفيْها الدين، سواء بمفهوم الإيمان أو بمفهوم الإلحاد الذي يدينُ به الُمعرِضون عن الدين والتديُّن: الإيمان بالغيب والإيمان بالشهادة، الدين ومُقتضيات الدين، الإلحاد (التقدم) والتديُّن (التخلُّف)، الإلحاد والشر (الألم)، الدين (الإيمان) والعِلم.

لو أننا تساءلنا وسألنا عن كَوْن الإنسان مُسيَّراً أم مُخيَّراً، وكان هدفنا حقاً هو الوصول إلي الحق والحقيقة والمعرفة الحقّة لوجدنا الردَّ الشافي الناجع في طَيّات مقُولة الإمام أبي حامِد الغزالي: «الإنسان مُخيَّر فيما يعلم .. مُسيَّر فيما لا يعلم»، ولكنه مكْر الماكرين الُملحِدين الذين يستشيطون إذا لم يجدوا ما ينقُدون وينقُضون. إنَّ نقدهم غيرُ بنّاء، بل هو نقدٌ من أجل النقد وفقط، كالطائر ينقُر بمنقاره في كُوْمة الحَبّ ليبحث عن قاذورات يلتقطها ويأكلها بدلاً من أن ينكُش في كَوْمة القمامة ليُفتِّش عن حَبَّة يقتاتُ بها ليسُدَّ رَمَقَه. إنه السؤال بدافع شهوة السؤال وكثرة التساؤل التي لا تهجع في داخل النفْس. ٧ - الُملحِدة التي تبغي من وراء تساؤلها الخبيث عن **التسيير والتخيير** إنكار الُمساءلة والحساب والتهرُّب منهما بعد انقضاء الحياة الدنيوية.

نردُّ علي هذا التساؤل مع د/ مصطفي محمود من خلال كتاباته فنقول أنَّ ما يأتي الإنسان من أعمالٍ وأفعال مُقدَّرٌ في عِلم الله وسابق أي مُدرج ومُدرَك في عِلم الله السابق علي عِلم الإنسان الُمكلَّف بإتيان الفعل أو ترْكِه بَمحْضِ إرادته، الحرية الإنسانية إذن حُريّة نِسبيّة غير مُطلَقة علي

عواهنها، تزيد وتنمو بالتزوُّد بالعِلم والأخذ بأسبابه، والتزوُّد بالتقوي والهداية. ترجع حرية الاختيار والموازنة بين الخيارات والبدائل الُمتاحة إلي إعمال العقل، صَنعةِ الله، وتعلُو علي هذه الحرية المشيئة الإلَهيّة التي تركت للإنسان الحرية في اتِّباع الشَرع والشارِع في الأوامر والنواهِي فقط أو عدم اتّباعه، فلا إكراهَ في الدين: « وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...» (الكهف (٢٩))، و«الأعمالُ بالنيّات» (حديث نبوي) هي إذن حرية نِسبية في التكاليف ولكنّها مُقيَّدة بالمشيئة الإلَهيّة، فالإنسان لا يملُك تبديل أو تحويل سُنَن الله في خَلْقه، فالكَوْن مُسيَّر في نظامه وحركته، مُسخَّر للإنسان، الشُروق شُروق والغُروب غُروب لا خَيارَ فيهما، والأُفول أفول؛ هكذا كرَّم الخالق بنيِ الإنسان وفضَّلهم علي كثيرٍ من خَلْقه بمنحهم حرية الاختيار بين ما هو داخل في علِمهم مما يتلقَّوْه من خالقهم، هي حرية نِسبية، نُعَم، ولكنها حرية مسئولة تخضع للمساءلة والحساب فيما بعد الحياة الدنيا.

ولّيعرف الُملحِدون المادِّيّون أنَّ الإسلام لا يُقيِّد الحريّات ولا يُصادِر المشاعر والعواطف كما يدَّعون بل يؤيّد الحرية الُمنضبطة لا الُمطلَقة، فالحرية المطلَقة فوضَي مطلقة؛ إنه يُنظِّم الحريات والمشاعر ويُهذِّبها في الإطار المأمون لصالح البشر، يُحِلُّ الطيِّبات ويُحرِّمُ الخبائثَ بكل صُنوفِها حِفاظاً علي الصحة البدنيّة والنفسيّة، ولهذا الغرض حرَّم الزِنا والفواحِش حِفاظاً علي الأبناء والأحفاد من النَسْل، وحلَّل الزواج كعلاقة سَوِيَّة لممارسة المشاعر والعواطف الآمنة في إطاره، وحثَّ علي العمل مع التسلُّح بالأمل لاستمرار مسيرة الحياة. سمح للإنسان بالحرية الشخصية بنْوعَيْها، المادِّية والروحيَّة: حرية المأكل والَمشرب والمَلبس والتنقُّل والتملُّك والتعارُف والأمر بالمعروف أو الُمنكر، والنُصح والعمل به من عدمه وغيرها الكثير من الحريات المادّية التي تمسّ حياته ومعايشَه اليومّية وترك له الاختيار

فيها وترك في الجانب الروحي حرية الاعتقاد فخيرَّه بين الطاعِة أو العصيان، ولكنْ في نفْس الوقت نبَّه إلي العواقب الوخيمة التي تنتُج من استخدام هذا النوع المعْنِوي من الحرية سَلْباً، إذ أنها - كما ذكرنا آنفاً - حرية مسئولة منُوطة بالحساب والمساءلة إذا توخّاها فيما يضرُّه ويُؤدِي به إلي الخُسران المُبين، هو وحده إذن صاحب القرار والاختيار ولكنْ علي مسئوليته بعد تبصيره بالعواقب، فإما الهُدَي والهداية والفَوْز والنجاة أو الضلال والخُسران والهلاك كما بصَّرنا في هذا الصدد كتابُ اللهِ المُقدَّس (القرآن الكريم) في مُحكِّمِ آياته: «مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ*وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ..» (فصلت: ٤٦) ، « وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى..» (فاطر: ١٨)، «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا» (الشمس: ٧ -١٠).

ننتقل الآن إلي ثنائيّة في باطنها إزدواجيّة إلحادِيّة أُخري تَسْترعِي الانتباه تجول حائرة في خَلَد الُمعرِضين الُمنكرين، هي عبارة عن متوازيْين متلاقييْن يكوّنان معاً بُنيانَ الإنسان، ألا وهما اللامادِّية.

٨ - وتتمثَّل في الروح والمادِّية وتتمثّل في الجسد:

اللاماديّة - كما يصفها د/ مصطفي محمود في كتابه «حوار مع صديقي الُملحِد» - مُطلَقة، تتشكَّل من العقل والضمير والأخلاق والحِسّ الجمالي، لا زمانيّة، لا مكانيّة، ساكنة، لا قياسيّة، باقية ومُستمرّة لا حدوديّة، لا نهائيّة، تتميّز بالثبات. أما الماديّة فعلي العكس من ذلك، مُتغيِّرة ومُتقلِّبة، غرائزيّة، زمانيّة ومكانيّة.

الخِلاف الدائر في ذهن الُملحِدين هو خلافٌ حول حاكميّة أحد الطــرفيْن، مَن الأعلَي والآمر والمُسيطر فيهما؟! من التابع ومن المتبوع؟! المادِّيون يقولون بحــاكميّة الجسد للروح، وبأنه هو الأعلَي ويردُّ عليهم د/ مصطفي محمود فيقول أن ثنائية المادة والروح ينفرد بها الإنسان دون

غيره من المخلوقات وأن الروح مُتعالية علي الجسد، ولذا لا يجري عليها ما يجري عليه من تغيُّر وزوال وفَناء، ونحن نُؤيِّده في تفنيده هذا ونَخلُص معه إلي أنَّ الإنسان ذو طبيعة مُزَدوجة، روح باقية خالدة تتحكَّم بعليائها وسُمُوِّها في الجسد ذي الطبيعة الثانويّة الغريزيّة البائدة الفانية الزائلة الراحلة المخلوقة من طينٍ لازِب ثم من ماءٍ مَهين. وكما ثبت علمياً فإن لكل جسد شَفْرة كيميائية ينفرد بها دون غيره مما يشكِّل عائقاً وحائط صَدٍّ عند زراعة الأعضاء البشرية في أجساد أخري غير التي نُقلت منها، فهي تقابَل بالطَرْد واللفْظ. بصمات الأصابع وبصْمة الصوت هي الأخري مُنفرِدة ولا تتكرّر، كل إنسان له بصماتُه الخاصة به دون غيره، مما يُثبِت أنَّ التفرُّد حقيقةٌ علمية دامِغة، نجدها مُتحقِّقة أيضاً خارج هذه الثنائية، ثنائية الروح والجسد أو اللامادية والمادِّيّة في مُؤلَّفات الإنتَاج الفكري من أدب وشِعر وفنّ، حيث تتعدّد الأشخاص وتختلف معها البصمات الإبداعية، فكل مؤلِّف، أديباً كان أو شاعراً أو رسّاماً، ينفرد ببصمته في مُؤلَّفِه وإنتَاجه الفكريَّ الفنّي.

من هذا الُمنطَلَق نَدْحَض النظرة المادية الخاطئة التي تصوِّر الإنسان علي أنه جسد بلا نَفْسٍ وبلا روح وبلا عقل وتتجاهل تماماً الثنائية الطبيعية البديهية التي فُطِر وجُبِل عليها الإنسان وتحوِّله إلي مجرَّد تَرْس في آلة، تتجاهل الأحاسيس الفِطرية الأخلاقية البدائية في بِنْية المخلوق البشري والتي لا تُكتسب بالتعلُّم، مشاعر فِطرية كامنة في الإنسان والحيوان علي السَواء ومُتوافقة مع قوانين ونُظُم العدل مثل الإحساس بالذنب والندم عليه، بالقُبح، والصبر والكبرياء والوفاء والولاء كلها روحانيّات نورانيّة غير مرئيّة بداخل الكائن الحيّ الُمتمثِّل في الإنسان (وأيضاً الحيوان) يفصل بها من الخير والشر ومُشتقّاته والحق والباطل والظلم والحرية والتبعيّة.... إنها - كما يقول د/مصطفي محمود - الحقيقة الُمطْلَقة أو اليقين الُمطلَق،

الُلغز الذي لا يعلم كُنْهَهُ إلَّا الله: «ويسألونك عن الروح قُلِ الروحُ من أَمْرِ ربِّي». ولْيعلم المادِّيون المُجرَّدون من مشاعرهم أنَّ بداخلهم، شاءوا أم أَبَوْا، نفْسٌ وذات لا تحرِّكها الغرائز فقط كما يزعمون ولكنْ تُهيْمِن عليها في كِفَّةٍ أُخري مُثُل عُلْيا وسامية وضميرٍ حيّ يطلّ من خلال روح نورانيّة شفاَّفة تتَّسِم بالتميُّز والتمييز، نفْحة إلَهيّة نفخها الرحمن من روحِهِ فينا وبها نحيا وبها نُبعثُ إن شاء الله.

وكما دُحِضت النظرة المادية للنفْس والذات والروح تتحطَّم هذه النظرة أيضاً بالنسبة لمعجزة الذاكرة الكامِنة والمستقِرّة في الروح لا في خلايا الُمخّ من الجسد كما يزعم الُمعرِضون ويدّعون أنها تَبْلَي وتتآكل وتتلاشَي بالموت، موت الإنسان بكل خلاياه ومنها الُمخّ مقرُّها في رأيهم، فهم يروْن أن أيَّ تَلَفٍ في المخ (أي في الجسد) يصحبه تَلَفٌ في الذاكرة، وهو زعمٌ باطل لا أساسَ له من الصحة؛ الحقيقة التي يكشفها الواقع بحوادثه وتجاربه تُثبت أن الذاكرة لا تتلَف ولا تَبْلَي بإصابة الجسد (المخ)، لا يجري عليها ما يجري عليه لأنها حيّة مُتعاليةَ، باقية لا فانية كخلايا المخ التي هي بمثابة أداة ومطيّة للروح في الحياة الدنيا، إنها خالدة في الروح، يفنَي المخ بخلاياه الجسدية الدنيوية وتبقي الذاكرة عالقة بالروح لتصحبنا بمخزون ذكرياتنا كذخيرة للحياة الآخرة الروحيّة الأبديّة.

في ضوء هذه الثنائية الَمزجيّة تتّضح وَسَطِيّة واعتدال الدين الإسلامي الذي مزج بين الماديّة والروحانية التي تنعكس في حنيفيّته وسماحته بعيداً عن التطرُّف والانحراف والإفراط والتفريط والجمود والتحجُّر، داعياً إلي التقدُّم والتحضُّر والتطوير والتطوُّر، والتغيير والتغيُّر، والتفكير والتفكُّر الذي يُحثّ عليه القرآنُ الكريم في طَيّات آياته: أفلا يتفكرون، يتدبّرون، يعقلون، يتذكّرون... كلها مبادئ يتوخّاها الإسلام لصالح البشرية واتقاءً للفساد والإفساد.

الإسلام واءَمَ بين مَطْلَب الروح ومَطْلَب الجسد، فكان بذلك دينَ الحياتيْن، الأُولَي والآخرة، دين السعادتيْن. إنه يُحثُّ علي تقوية البَدن، بالغذاء والرياضة، والتُخلُّص من العادات السيئة مثل السَهَر وكثرة النوم...، وتقوية النفْس بالاستعفاف والتسامي علي الغرائز، بكَبْح الغضب وكَظْم الغيظ وبأدب الحوار مع الآخرين. الإسلام دين الأناقة والتجمُّل المحمود بعيداً عن الِكبْر، وقد أمر المسلمين بالتحدُّث بالنعمة وجعل الزينة من آداب الصلاة: قال تعالي: «يا أيها الذين آمنوا خذوا زينتكم عند كل مسجد»، «قُل مَنْ حرّم زينةَ الله التي أَحَلَّ لكم»، المقصود بالزينة هنا هو الملبَس يتزيّن به المرءُ عند الصلاة، في لقاء الله في كل صلاة، في الجوامع، في الأعياد وأخيراً في لقاء الآخرين؛ قال صلَّي اللهُ عليه وسلَّم «إن الله يحب أن يري أثر نعمته علي عبده»، «إذا خرج المرءُ إلي إخوانه فلْيتزيَّن، فإن الله جميلٌ يحبُ الجمال»، فلا يجب علينا أن نُحرِّمَ ما أحلَّ اللهُ لنا ولكنْ في غير إسرافٍ أو خُيَلاء».

قال تعالي: «كلوا واشربوا ولا تُسْرِفوا»، فقد كان صلَّي اللهُ عليه وسلَّم يأكل ما يجده، ولا يأكل علي شبع، ويلبَس بعيداً عن الخُيَلَة.

الإنسان ليس عقلاً فقط، ولكنَّه أيضاً غرائز وشَهَوات: عقل يشُدُّهُ إلي العالَم العُلْوِيّ وغرائز وشهوات تشُدّه إلي العالَم السُفْلِيّ الذي يهبط به إلي الدَرك الأسفل الذي يوصِّلهُ إلي مرتبة الحيوانات، وبقدْر تحكُّم الإنسان في هذا الاتجاه وذاك يكون مسارُه ومسيرتُه في الحياة ويكون الحُكْمُ عليه من الآخرين. القرآن من خلال الإسلام ومنهجه أحيا الجانب الروحي في الإنسان واهتم بتهذيب الروح، وفي ذلك توجيه إلَهي شامل، قمة التوازن بحيث لا يطغَي أحدُ الجانبيْن علي الآخر، مُزاوجة بين خطوط الجسم المعتدلة وخطوط الروح المعتدلة، فلا يُضارُّ جانب علي حساب الآخر، مُزاوجة بين الفِكْر والذِكْر. كُنْ من أَهْل الدين الذين لا ينعزلون عن الدنيا،

وكُنْ من أهل الدنيا الذين لا ينفصلون عن الدين فالإسلام دين الوسطية والتوازُن بين الدين والدنيا، بين الروح والمادة، بين العقل والعاطفة. أهلُ الجنة هُم أُولُو الألباب، وأهلُ النار هُمُ البُلَهاء الغافلون الذين لا يعقلون، لهم قلوب لا يفقهون بها وأعيُن لا يُبصرون بها وآذان لا يسمعون بها، هُم كالأنعامِ بل أَضَلُّ سبيلاً. الدين يمثّل الواحدَ الصحيح، إذا أُضيف إليه الجمال والثروة والعقل والفصاحة زاد كما لو أضفنا إليه صِفراً أو صِفريْن؛ قال صلَّي اللهُ عليه وسلَّم: «إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلي صُوَرِكم وأجسادِكم ولكنْ ينظرُ إلي قلوبكم وأعمالِكم». الجسم والسَمْت والثروة مُوهِّلات مادية هامة ولكنْ لا يجب أن تكون مِعياراً للاختيار، اختيار الزوج أو الزوجة، اختيار الصديق أو الجار...

وَسَطِيّةُ الإسلام تجمع بين خيْريّ الدنيا والآخرة بالتوفيق بين مطالِب الروح ومطالب الجسد؛ إنها وَسَطيّةُ الفكر والسلوك، وسطية القصْد، فلا إفراط ولا تفريط، إنها الاعتدال بين رذيلتَيْن أو تطرُّفيْن، إنها التوازن بين خَلَلَيْن، ليست اجتهاداً بَشَرياً، إنما هي إرادة إلَهيّة ربَّانية، ليست مجرّد فكرة بعد عصر الوَحْي ابتدعها الإسلام، إنها - كما قال النبيُّ الخاتم - الوَسَط العَدْل.

الإنسان مرّ بالعديد من التجارب التي أفقدتْهُ التوازنَ بين الروحِ والجسد كما يحكي تاريخُ الأمم، حتي جاء الإسلام بالاعتدال والوسطيّة فوازَنَ بين نداء الجسد وغذاء الروح، أي بين الدنيا والآخرة، وبارك موقف الاعتدال، فلا ينسيَ المؤمنُ حظَّهُ ونصيبَهُ من الدنيا ولا ينْغَمِس في المادِّيّات فينسَي آخِرتَه.

من دعاء النبيّ صلَّي الله عليه وسلَّم: «اللَّهُم اهدني إلي القَصْد (أي: الوسطية) في الغنَي والفقر». والبساطة أيضاً هي من أدب الإسلام، يدعو إليها في كل شيء، فلا مُغالاة ولا إسراف ولا تكلُّف أو تصنُّع، يردّ بها

علي الُمتكلَّفين المُتَّبِعين والمُسايرين للأعراف الأجنبيّة الوافدة، المُنافِية لأدب وآداب ومبادئ الإسلام ويجعلون من عاداتهم عباده. «ألا هلك المُتنطِّعون» (أي: المُتكلِّفون)، قالها صلَّي اللهُ عليه وسلَّم ثلاث مرّات.

ولو تتبّعنا حلقات سلسلة الدعاوَي الإلحادية المتمثّلة في السببيّة والتوحيد والوحدانية الإلَهيّة، والربوبيّة والعبوديّة، والمعجزات الإلَهُيّة والبعث والوحي، وما وراءها من تساؤلات ومزاعم وافتراءات وادّعاءات فاسدة باطلة من جانب المُلحِدين المُنكرين وردود كاتبنا د/ مصطفي محمود عليها بالتصدّي والتحدّي لهذا الفساد وهذا الباطل المبْنِي علي باطل لوجدنا أنه في هذا التصدّي لمزاعمهم بإعمال العقل قد نجح فيه نجاحاً كبيراً، وذلك بعد عَوْدِهِ الحميد إلي حظيرة الإيمان بعد رحلة شاقّة وشائكة مع الشك حتي وصل إلي ورسَي علي بَرّ الإيمان والأمان وتسلّح بهما ووظفَّهما في الحرب التي أعلنها علي دُعاة الباطل بالاستدلال والتدليل والحوار والمُحاججة الجريئة القوية لإقناعهم وإفحامهم بالحق والحقيقة التي يغفلون عنها ويتنكّرون لها. لقد نجح ووُفِّق بفضْل الإيمان الذي ترسَّخ في نفسه ووَقَرَ في قلبه فأحقَّ به الحق ودَحَضَ وأبطل الباطل بالحُجج والبراهين التي ساقها ودَلَّل عليها بأمثلة تطبيقية ملموسة من الواقع العصري الحديث الذي يحتمي به المُنِكرون، صبر عليهم بالكَرّ والفَرّ في الحوار حتي أخرسهم وأبطل حُججهم بالعِلم والإيمان واليقين الذي ما بعده يقين ونحن معه في دفاعه وهجومه في هذه الحرب الشعواء نؤيّده ونؤازره بالتصدّي لهم من خلال مؤلَّفاته التي صاغها في سهولة ويُسْر لا يخفَي علي قُرّائه.

نتنقل الآن من القضايا الإلحادية سالفة الذِكر والردود عليها وإدْحاضها والتي خاض فيها المُبطِلون المُفترون بالتنكُّر والإنكار أمراً بالمُنكَر ونَهْياً عن المعروف، إلي قضايا ومزاعم ثنائية أخري نفنِّدها ونتصدَّي لها بالدراسة

والتحليل والنقد البنّاء بهدف الكشف عن فسادِها وبُطلانِها هي الأخري لأنها نتاج تفكير إلحادي فاسد ينبُع من عقول وقلوب لا تفقه في أجساد هؤلاء الغارقين في غَيِّهم وغفلتهم في بحرٍ من الظلُمُات علَّهم يرشُدون.

٩ - ثنائية الإلحاد وعالَم الغَيْب وعالَم الشهادة:

نقول - في توافق مع د/ مصطفي محمود من خلال بعض سطور وردت في كتابه «حوار مع صديقي المُلحِد» أن من آمن بالغَيْب بالسماع دون المشاهدة فله الحُسنَي وزيادة، أما من شاهد ورأي بعينيه واطّلع علي معجزات الله ومنها القرآن بإعجازه الفائق ولم يؤمن بها ولا بالرُسُل واسطِة السماء لخلْق الله، ولا بالرسالات السماوية الأخري، فله عذابٌ شديد ومُهين. عالَم الشهادة، الحياة الدنيوية المرئية المرتبطة بالزمان والمكان والأحداث المتواترة، هي المَعين الذي غرَّر بالمُلحِدين المُنكرين لعالَم الغَيْب وجعلهم يستمدّون منه المقاييس الدنيوية البشرية للتسوية بين الخالق والمخلوق وأخذوا يكيلون الاتهامات للمؤمنين بالسذاجة التي تدفعهم إلي حرمان أنفسهم من مباهج الدنيا ومفاتنها وملذّاتها المحسوسة الملموسة والمُمتِعة من وجهة نظر المُنكرين للدين، الكافرين به فهم يستشعرون السعادة في عبوديّتهم لغرائزهم بمَنْأَي عن وفي مأمن من خوف الوقوع في الحرام والتعرُّض للحساب والمساءلة عمّا اقترفوا من أعمال وتصرُّفات أَتوْها بدعوَي الحرية، إنها - كما يقول كاتبُنا د/ مصطفي محمود - حرية غير مسئولة تُجرِّدهم من التكاليف والتِبعات التي تفرض عليهم محـاسبة النفْس ومراقبة الضمير، هـذا هو حال من يتعاطَي المُخدِّر لأنه يُغيِّب عقلَه مناطَ التكليف ويجعله غير مسئول عن تصرُّفاته وغير صـالح للمساءلة عنها، إنه حـال من ينفُض عن نفسه الدين والتديُّن والإيمان بالغَيب من خـلال ظواهر عالَم الشهادة أو الكتاب المنظور. بهذا التفنيد المُقنِع وهـذه الحُجّة الداحِضة المُفحِمة

ردَّ إليهم كاتبُنا د/ مصطفي محمود - ونحن معه نؤازره - السهم في نُحورهم وعرَّفهم أنهم هُمُ المُخذَّرون وليس المؤمنون المُتديِّنون، هُمُ الذين تعاطَوْا الأَفيون - اللادين أو دين الإلحاد - فغيَّب عقولَهم عن الحق والحقيقة وساقهم إلي الباطل والبُطلان وأَوْهَمهم بالسعادة الزائفة. وصَوَّب إليهم كاتبُنا بحِرفيّة محمودة، هي نتاج إعماله لعقله في التحدِّي والتصدِّي لمزاعمهم وادِّعاءاتهم بأن الدين يجُرّ إلي الرجعيّة ويدعو إلي الطبقيّة، فبيَّن لهم بالحوار والِحكمة والمَوْعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن أن التفاضُل والتفاوُت والتنوُّع بين البشر يُماثل التفاوت والتنوُّع في الطبيعة التي يتَّخذونها إلَهاً ومذهباً ومَنطَلَقاً لتصوُّراتهم وأَوْهامهم الفاسدة المُفسدة، الضالَّة والمُضلِّلة، وأن التساوِي بين الخلْق أو البشر غيرُ طبيعيّ وإنما يكون طبيعياً فقط في تكافؤ الفُرَص بينهم وفي تكافُلهم اجتماعياً وإنسانياً، وأن الله خلق البشر درجات ليتكاملوا، لا ليتعالَي بعضُهم علي بعض، والدين الذي يتديَّنون به هو الذي يدعوهم إلي تحقيق هذا التكامل، والتكافُل لصالح البشرية جمعاء، بفرض الزكاة والدعوة إلي التصدُّق وكفالة الأيتام والسعْي علي الأرامل والتبرُّع بفضْل الزاد والتواصل والتراحم بين بَنِي آدم.

تطرّق كاتبُنا في أعقاب هذا الهجوم دفاعاً عن الدين إلي بيان مفهوم «الدين» وجوهره، محاولاً بالحُجّة والاستدلال والتدليل إقناع المُشكِّكين فيه والمُعرِضين عنه ليُسهِّل لهم الدخول في حظيرته ويُبيِّن لهم عواقب.

١٠ - الخروج منها وذلك من خلال **ثنائية** أسماها «**الدين ومُقتضيات الدين**»، ومُحذِّراً إيّاهم من الخط بينهما . يقول د/ مصطفي محمود أنَّ معرفة الله ومقامه الأعلَي والأسمَي، الإلَه الواحد الأَحَد، الفَرْد الصَّمَد، الجدير بالعبودية والوحدانية من جانب كل نَفْس بشرية خلقها في المقام الأدَني، هي أصل الدين وجوهره أما مَنْ تنكَّر له وأنكر وجودَه وكفر بهذه

العلاقة ولم يعترف بمقامه الأدنَي من مقام ربِّهِ الأعلَي والأسمي فأعمالُهُ كسراب أو كباسطِ كفَّيْهِ بالماء ليشرب أو كرماد اشتدَّت به الريح، أي أنها هباءٌ منثور - وكلها صُوَر بلاغيّة مُشتقَّة من القرآن الكريم .

المُلحِد يعترف بالوجود الإلَهي بطريق غير مباشر من صُنعه هُوَ وفي تصوُّره هُوَ، من نسيج خياله المريض المُعانِد والمُكابِر الذي جرفه بعيداً عن مَوْلاه وخالقِه، عن الحق والحقيقة، فخيَّمت علي عقله وقلبه وسمعه وبصره غشاوة ساقته إلي بحرٍ من الظُلُمات المتراكمة ولاخَراجَ له منه ولا فِكاكَ بل الهلاك الحَتْمي لِمن ضلَّ الطريق إلي الله بَمِلْكِهِ واختياره، فقد اختار عن جهلٍ أن يكونَ مع المُقرَّنين في الأَصفاد أمثال فرعوْنَ وهامانَ وقارون ممَّن تملّكهم العُجْبُ بقوَّتهم وثروتهم وسَطْوتهم ونسُوا الله فأنساهم أنفسَهم، ولو أنهم آمنوا واستقاموا وأخلصوا النيَّة بقلوبهم وجوارحهم ركوعاً وسجوداً لبارئهم في تواضُع وذِلّة لعزُّوا وشَرُفوا وبلغوا قمَّة السعادة بل النَشْوَي ورَضيَ اللهُ عنهم ورضُوا عنه وانضمّوا إلي حزبه وهجروا حزب الشيطان ودخلوا في دائرة الإيمان والأمان، ولعرفوا أن الدين قوة إيجابية شاملة كل ما هو نافع ومفيد لصالح البشريّة، فهو يدعو إلي التعقُّل والتفكُّر والتدبُّر والتأمُّل، إلي التراحُم والتواصُل والتكافُل، إلي الأمل والعمل ويُحثّ علي الفضائل ويُنفِّر من الرذائل، كل ذلك من خلال الإيمان مع اقترانه بالعمل الصالح.

ومن بيان أصل وجوْهر الدين للُمشكِّكين ينتقل كاتبنْا د/مصطفي محمود إلي ادعِّاء آخر يتمثل في:

١١- **ثنائية** أخري من وَحْي خيالهم المريض وفِكرهم العقيم وعقلهم الواهِم، وما يخدعون إلا أنفسّهم وما يشعرون، إذ يقِرنون **التديُّن بالتَخلُّف** الذي لحق بالشرق **والإلحاد بالتقدُّم** الذي عليه الغرب في المقابل. يقول كاتبُنا قوْلةَ حقٍ وحقيقة سجّلها التاريخ أن الغرب ما تقدَّم إلَّا بالعِلم

الذي خلَّفه الشرقيون المتديِّنون من خلال دولة متقدمِّة متحضِّرة بنْوها وأسَّسوها وامتدّت من المحيط إلي الخليج بفضل علماء المسلمين العرب البارزين المعروفين في عصور سالفة، تمسَّكوا بالدين وحملوا لواءه في فُتوحاتِهم الإسلامية فسادوا واعتلُوا سُلَّم الحضارة ولما هجروه تخلَّفوا وتراجعوا وانكمش مُلْكُهم وتضاءل رُوَيْداً رويداً ونقل عنهم الغرب العلوم، ترجموها وارتقوا وتقدَّموا بها وتحضَّروا وليس بالإلحاد، فالعكسُ صحيح. كان التقدم والرُقِيّ حليفَ المسلمين المؤمنين المتديِّنين بينما كان الغرب غارقاً في ظُلمات الجهل في العصور الوُسطَي والتقطوا الخيط الحضاري من العرب المسلمين ونسجوا منه حضارتهم التي يزْهُون بها اليوم؛ ونجح الغرب في توظيف العِلم الذي خلَّفه المسلمون بعد هجرهم للدين في صُنع الحضارة الغربية وراح العرب المسلمون يسيرون في رِكابهم وينقلون عنهم بعدما كانوا هم قاطرة التقدم، تقهقروا وتخلَّفوا ورضوا بهذه المكانة واستكانوا وتحوَّلوا من مُخترعين صانعين للعِلم إلي ناقلين مقلِّدين ومُحاكين لعلماء الغرب، أما الإلحاد فلا فضْلَ له في التقدم أو التخلُّف، فهذا زعمٌ باطل.

والآن نتصدَّي لثنائية إلحادية أخري الأهَمّ بعد المُهِمّ مما سبق وهي وليدة الفِكر الإلحادي الفاسد والمزاعم.

١٢ - والادِّعاءات والاتهامات الإلحادية الباطلة المبنيَّة علي باطل، ألا وهي العلاقة بين **الإلحاد والشر** التي تتساءل عن الحِكمة من خَلْق الشر في الدنيا وعن معني العذاب والعقاب فيها.

كما يقول د/مصطفي محمود في ردِّه علي هذا التساؤل الاستنكاري في كتابه «حوار مع صديقي المُلحِد» أن الخير هو القاعدة وأن الشر هو الاستثناء، وأن الشر في باطنه خير والمِحنة في باطنها مِنحة، والعُسْر في باطنه يُسْر، وأن النِقمة تتمخَّض عنها نعمة، ولو اطَّلعنا علي الغَيْب

لاخترنا الواقع الذي نكرهه والذي يؤيِّد أنه عسَي أن نكره شيئاً وهو خيرٌ لنا، وعسَي أن نحبَّ شيئاً وهو شرٌ لنا كما ورد في القرآن الكريم في سورة النساء منه، ولكن خُلق الإنسانُ عجولاً، والعجلة من الشيطان الذي يُهيِّئ له الشر شراً من منظور فكر قاصِر وبصيرة قاصرة. وقد ساق كاتبُنا في كتابه المذكور أمثلة واقعية دلَّل بها علي صحَّة هذه الدفوع (الترياق وسُمّ الثعبان، اللقاح والميكروب...) ورُبَّ ضَرّة نافعة، ورُبَّ قُبْح ظاهريّ ينْطوِي علي جمال روحّي باطنيّ؛ الجمال الخارجي ملموس بالحواسّ الخمس والجمال الداخليّ [(١)] في الجْوهر غير مرئيّ ولكنه محسوس، وهذا التضادّ يعرِّفنا بكل الظواهر:

نحن نعرف الليل بالنهار، والحَلَك بالضوء، والظلام بالنور الساطع، والصحة بالمرض، والحِرمان بالترَف والارتواء بالظمأ، والحرّ بالبرد، والنار بالماء الذي يخمدها، والذُلّ بالعِزّ، والعِزّة والفقر بالغِنَي، والفرح بالحزن، والجوع بالشَبَع، والعُسْر باليُسْر، والزيادة والكمال بالنقض والنُقصان،والاعتدال بالاعوجاج، والصلاح بالفساد، والحرية بالسجن والحَبْس، والتعب والنَصَب بالراحة، والسرّاء بالضرّاء، والبأساء والضِيق والشِدّة بالفرج، سلبيات وإيجابيات، متناقضات متضادّات ساقها د/ مصطفي محمود، غير قابلة للإنكار، لا يُنكرها إلا الأعمَي والأصمّ والأبكم

(١) أودّ هنا أن أُطْلع القارئ علي سطور في مفهوم الجمال الروحي وقعت عليها عيناي أثناء دراستي للدكتوراه في ألمانيا أعجبتني فسجّلتها بقلمي واحتفظت بها:

جمعت الطبيعة عبقريتها.. فكانت الجمال.

وكان أحسنَهُ وأشَرفَهُ ... ما حَلَّ في الهيْكل الآدمي وجاور العقلَ الشريف والنفْس اللطيفة والحياة الشاعرة والجمال البشري .. سيد الجمال كله

لا المثّال البارع استطاع أن يخلعه علي الدُمَي الحِسان ولا للنيرُات الزُهْر في ليالي الصحراء ما له من لَمحة وبهاء ولا لبديع الزهْر وغريبه في شباب الربيع ما له من بشاشة وطِيب.

وليس الجمال بلمْحة العيون ولا ببريق الثغور.. ولا هَيْف القُدود ولا إمالة الخدود...

ولا لؤلؤ وراء عقيق الشفاه.

ولكنْ .. شُعاعٌ عُلْوِيّ .. يبسطه الجميل البديع علي بعض الهياكل البشرية.. يكسوها رَوْعة.. ويجعلها سحراً وفتنة للناس..

سبحان الله!

والخصيم المُبين الذي لم يعترك مع الحوادث الدنيوية، وسُقناها في توافق تام معه لنُدلِّل علي أن الشرَّ ضرورة لابد منها لإدراك الخير المقابل في كل الظواهر الدنيوية، إنه البلاء والابتلاء الذي ينزل علي الإنسان ليميزَ الراضي من الساخط، والقانت من القانط من رحمة ربه أو كما يقول د/ مصطفي محمود «الامتحان في العاجلة من أجل التمحيص للآخرة الآجلة للترقّي من الدَرَكات السُفلَي إلي الدرجات العُلَي»، والله لا يقدِّر لخلْقه إلا الخير حتي لو كان ظاهره شراً، وانظر الحديث النبوي الشريف علي الجانب الآخر: «عجباً لأمر المؤمن، فإن أَمَرهُ كلَّهُ خير، إن أصابته ضرّاء صبر وهو خيرٌ له، وإن أصابته نعماء شكر وهو خيرٌ له».

الفِطرة الإلَهيّة التي جُبِل عليها الإنسان طيّبة وسَوِيّة وخيرةٌ، أما الشر والانحراف والاعوجاج والَميْل عن الخير كلها سلبيّات من فِعل وتفكير وتدبير البشر، صُنعِ العقل البشري الذي يعيثُ به الإنسان فساداً في الأرض التي استخلفه الله فيها.

من كل ما تقدمّم تتَّضح لنا الحِكمة من خَلْق الشر في الدنيا والحِكمة من العذاب والعقاب فيها قبل الحساب المؤجَّل في الآخرة، إنه التمحيص والتخلية جلاءً للنفْس وصَقْلاً لمعْدنها كما يُصهَر المعدن النفيس ليخلُص من الشوائب، العقاب والعذاب إذن ضرورة لاستحقاق الثواب والجزاء. مَنْ حافظ علي فِطرته السَوِيّة وعاش عليها سَلِم ووصل إلي معرفة الله ومقامِهِ الأسمَي ومعرفة نفسه ومقامه الأدنَي ومكانته عند ربه، ووصل إلي اليقين الُمطلَق، ومَنْ مال بهواه، هذا الطاغوت الذي أطغاه، عن الفِطرة السويّة والحق والحقيقة المُطلَقة فقد غَوَي وهَوَي إلي سفل الدركات بانقياده للتناسِي والنسيان («الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم») والغفلة والنظرة الماديّة البَحْتة المجرَّدة من الروحانية والمحدودة خسر كل شيء وضلّ الطريق، ومن يُضلِل الله فلا هاديَ له ولن يجدَ له وليًّا ولا

مُرشداً، ولو أنه هجر كثرة الجدل والجدال والمجادلة وقرأ القرآن وتدبَّره لوجد فيه الذِكر والتذكير والتذكرة التي تنفعه في دينه ودنياه وأُخراه، وتعرِّفه وتُعْلمِه عِلْمَ اليقين أنَّ الدنيا إلي زوال، فانية غير باقية، وأن الحياة فيها تنتهي حتما ولكنْ لنعودَ إليه ونَنْعَم بالخلود بالعمل المحمود بعد الحساب الموعود من قِبَل الخالق المعبود، الحقيقة المتحقِّقة في كل ما في الوجود، والتي لا ولن يتعرَّف عليها ويصل إليها العبدُ إلا بالركون إلي الفِطرة البديهيّة السليمة في خُلْوة تأُمُّليّة صادقة مع نفسه بعيداً عن مُراوغات ومُهاترات وإضلالات العقل البشري، ولْيسْتفْتِ قلبه ليهتدِي بنور البصيرة إلي نور الله، إلي الوجود الإلَهي، ولْيترُك شمسّ الحقيقة تنفُذ إلي سُوَيْداء قلبه، ومن قلبه إلي عقله ليفْقه بهما ويستقيم ويَحْظَي بمعِيَّة الله ورضاه ويعرف أنَّ اللهَ أكبرُ من كل شيءٍ أبصره أو سمع عنه أو رآه في منامه وأنَّ كلَّ ما دونه زائل وفاني وهو وحدَهُ الباقي والأبقيَ، ويُسْلِم ويُسَلِّم له قيادَهُ رغبةً منه أو رغْماً عنه، طَوْعاً أو كَرْهاً، شاء أَمْ أبَي، رَضِيَ أم لم يَرْضَ، أياً كانت هذه القدُرة العليَّة التي يستشعرها، أراد أم لم يُردْ، فالمُسَمَّيات - كما يقول د/ مصطفي محمود ونقول معه - كثيرة حول مُسمَّي واحد هو الله الواحِد الأَحَد، الفَرْد الصَمَد، القاهِر فوق عباده، فلا مفرَّ للمُلحِد من توحيده والاعتراف له بالوَحدانية والعبودية والرُبوبية والمَقام الأسمّي، لا مفرَّ له منه إلَّا إليه ولو من خلال الطبيعة والعِلم اللذيْن يدين بهما لأنه هو الذي خلقهما كما خلقه وسوّاه وعَدَلَهُ وفي أحسن صورة ركَّبه؛ فلْتركع له أيها المُلحِد ولْتسجُد له وتُسبِّح بحمده ولا تشْطُط وتجعل محلَّ سؤالٍ منك أيها المسكين، يا قبضةً من طين نفخ فيها من روحه، يا من سترحل كسائر الراحلين وترجع إليه وتُسأَل عن كل ما كنتَ به من دونه تدين، ويكون ومآلُك إلي جهنّم مثْويَ الكافرين، ثُبْ إلي رُشْدِك وسارع بالأَوْبةِ قبل أن ينتهي الأجل والموتُ يحين. تلمَّس طريق

النجاة، فما زال الأمل فيها معقوداً بعفْوِ الله العفُوّ الكريم، تذرَّع بهذا الأمل وتمسَّك بأهدابه واملُك زمامَهُ لعلّك تهتدِي قبل الفَوَات. وتحضُرُني في هذا الصدّد سطور متناغمة لترجمة شعرية من الألمانية كنتُ قد صِغْتُّها منذ فترة ليست بالقصيرة، وقد نُشرت لي في مجلّة «القاهرة» وتدور حول مفهوم «الأمل» من وجِهة نظر الشاعر الألماني المعروف فْريدرِش شِيلّلر، أُورِدُها هنا قاصدةً بالأخصّ المقطع الأخير منها وهو الأهمّ لأنه يُشير إلي الهدف الأسمَي الذي خَلَقنا وصَوَّرنا وسَوَّانا في أحسنِ صورة والذي يكمُن فينا، وهو الأمل الأكبر الذي نسعَي ونسمُو إليه بأرواحنا، ولا مفرَّ منه إلَّا إليه، وقد قال وقــولُهُ الحق: « ... وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» (يوسف ٨٧) ، فتعلَّق به لتعرفَ الطريقَ إليه، وما خاب من رجاه، إنَّ الأمل من الإيمان، فهو قوة إيجابية تحُثّ علي الإعمار الذي أمرنا به الله.

ولْيتأمل معي المُلحِد في السطور الآتية بشيءٍ من التمعُّن الخَطْوَ الحثيث من الأمل الدنيويّ الجليّ إلي الأمل الخَفِيّ الأُخرويّ الذي هو حتماً كادحٌ إليه كَدْحاً طَوْعاً أو كَرْهاً:

***الأمـــــل ***

يحلم الإنسانُ ويحلو له الكلام
عن مستقبلٍ يأتيهِ بأجملِ الأيام
يُمنِّي نفسَهُ بسعادةٍ بعيدةِ الآفاق
يلهثُ إليها ويركُض ولا يَمَلُّ السباق.
أجيالٌ تَفْنَي وأُخرَي تتألَّق
وهو دائماً أبداً بالأملِ يتعلَّق.

***

يأتي إلي الحياةِ ويَنْعمُ بها صبيّاً
تغمُره السعادةُ ويَحْدوهُ الأملُ مَليّاً
ببريقٍ يرَي وهو شابٌ مَداه
يُرافقُهُ علي الدَرْبِ في خريفِهِ وشِتاه
وينتهَي به إلي حيث يهلَلك
وهو لايزالُ به يتمسَّك.

***

لا هو من فراغ ولا هو بمجُون
ولا ينبُع من فكرٍ أحمقٍ مجنون
بل هو في القلوبِ وبه نَحْيا
ونعرف أننا خُلقنا لهدفٍ أسمَي
تهمِسُ به نفوسُنا وله تخضع
ولكنَّها ماتزالُ بالأملِ تتذرّع

وعلي صعيدٍ آخر نطالع علاقة الإلحاد بالشر من منظور الفكر العلمانيّ والفكر الإسلاميّ مع د/ عمرو شريف من خلال كتابه «خُرافة الإلحاد»:

العلمانيّة تستهدف استبعاد الدين من منظومة الحياة برُمَّتها من كل مناحيها وتتخذ من الإنسان والطبيعة المادية محْوَراً ومصدراً مُطْلقاً للمعرفة والأخلاق والقوانين بدل الإلَه، وهي بذلك تؤلِّه الإنسان وترفعه فوق قَدْرِهِ الأدنَي فتجعل من المخلوق خالقاً ومُسبِّباً للأسباب، وترفض رفضاً باتاً الإيمان بوجود ثنائية الخير والشر، ولا تقرّ ولا تعترف إلَّا بالمصلحة والنفع. أما المنظور الإسلامي فله آليّات خاصة به لتأصيل الدين والأخلاق في الإنسان، فهو يستنبطُها من الفِطرة البديهيّة التي جُبِل عليها البشر الأَسْوِياء ليصلَ بهم إلي حقيقة الوجود الإلَهي القاهر والمُهيْمن علي النفْس البشرية بمقامه السامِي الذي يعلُو ولا يُعلَي عليه. قضية الإيمان من المنظور الإسلامي ذات ثلاث شُعَب أو مستويات، أَوَّلُها ثُنائية الخير والشر (الألم) التي يُنكرها الملاحِدة ويرفضون الاعتراف بها في كِبْرٍ وعِناد وتحدِّي سافر لا مُبرِّرّ له. أما الفكر الإسلامي فيردّ عليهم بأن البلاء والابتلاء إنما لحِكمة يراها، فإما أنه عقابٌ علي ذنب اقتُرِف أو امتحانٌ للتمحيص ورفع الدرجات والترقِّي أو مِحْنة في باطنها مِنْحة أو تنْحِية لشرٍ واقع، ويستشهد الفكر الإسلامي بالواقع الدنيوي القائم علي التضادّ الذي يحمل في طَيّاتِه إيجابيات لا تُعرف إلَّا بالسلبيات كما أوردناها وعدّدناها سالفاً مع د/ مصطفي محمود من خلال كتابه «حوار مع صديقي المُلحِد» وكتاب «رحلة الشك واليقين» (الليل والنهار، النور والحَلَك، الظلم والعدل، الصحة والمرض...)؛ وباختلاف المنظور للحياة الدنيا، إما ماديٌّ بَحْت كما في المذهب الطبيعي أو إيمانيّ، يختلف التفسير لهذه الثنائية وتختَلف الدُفوع والحُجج المُقامة والأَدِلَّة المُساقة.

وختاماً لهذه الثنائيات الإلحادية المعروضة آنفاً نتناول الآن الثنائية الأهّم في هذه السلسلة، ثنائية.

١٣ - «**الدين والعِلم**» أو «**العِلم والإيمان**» بالعرض والتَفنيد والدفاع والتدليل إزاء المزاعم الإلحادية الفاسدة بوجود تناقُض بين طرفيْها، ولْنخْبُر وجودَهُ من عدمه في الردّ علي هؤلاء المُشكِّكين.

العِلمُ الحق دليلُ الدين وليس مُناهِضاً ولا مُناقِضاً له كما يدَّعِي المُعرِضون زوراً وبُهتَاناً، كما يقول كاتبنا د/ مصطفي محمود الذي استخلص بعد غَوْصٍ عميق في بحر العلم دُرّة الفكرة الإسلامية الكاملة عن الله التي تُثبِت باليقين أنَّ التفرُّ الذي هو أَوَّلُ صِفات ذاتِ الله حقيقة جَوْهريَّة يشهد بها العِلم. الدين، متمثِّلاً في الوجود الإلَهي أو الأُلوهيّة، ليس بينه وبين العِلم أدنّي تعارُض بل بينهما توافُق عميق يصُبُّ في نهاية مطافِه في الوجود الإلَهي، حقيقة دامغة يتفوَّه بها العِلم بأعلَي صوته فيقول أن هناك إلَهاً خالقاً يُدبِّر شئونَ الكَوْن بمنتهي الحِكمة ويحافظ علي اتِّساقه في كل حذافيره - كما يُقِرّ كاتبُنا د/ عمرو شريف هو الآخر في كتابه «خُرافة الإلحاد». إنه يقول أن الصراع المزعوم بين الدين والعِلم والذي نَشَبَ في أوروبا في إثْر الثورة العلمية بمُنجَزاتها واكتشافاتها الكثيرة إنما هو صراعٌ مُتَوَهَّم، مما حدا بالإنسان العصري إلي الميْل والانحراف عن الإيمان وإنكار وجود الإلَه الواحد واستبداله بالعِلم إلَهاً ، وهذا المَسلَك في حدِّ ذاته اعترافٌ صريح بأن الإنسان يعرف حق المعرفة أن مقامه في مرتبة الدُنُوّ الذي يدفعه إلي الخضوع لمقامٍ آخر أعلَي منه يعبده ويُوحِّده أيّاً كان الإسم الذي يُطلقه عليه، فلماذا الكِبْر والعِناد والصَلَف أَيُّها المُتدنِّي، لماذا الإعراض إذن عن «العُرف» المُتَّبَع من جُموع أهل الإيمان؟ أهو فقط بدافع خالف تُعرف؟! لماذا لا يكون بالإيمان والتسليم بيدك أنت لا بيد عمرو؟! إنه الفهمُ القاصِر وراء هذا الإنكار والإعراض الذي يلِغي خطأً توافُق هذيْن الطرفيْن محلّ التشكيك، إذ أن أحدهما يحْوِي الآخر في طَيّاته فيعملان معاً في تناغُم وانسجام علي انضباط الكَوْن في سيمفونية

رائعة مُحكَمة. الإلحاد الغربي يري في الأُلوهيّة والغَيْبيّات نوعاً من الهروب من تحدِّيات العصر، والعكس صحيح ، فإن الإلحاد هو عيْن الهروب من المُساءلة المُرتقَبة يوم البعث من الإلَه الواحد الذي سيحاسب الإنسان علي ما اقترف من أفعالٍ في حياته الدنيوية؛ الإنسان الغربي العصري ومن اتَّبه يبغِي التخلُّص والتحرُّر من قيْد الدين الذي يُدمي مِعْصَمَه، يريد أن يتحلَّل منه ليتَّبع أهواءَهُ الغريزيّة التي ستُرديه في سَعير النيران، وهو فقط يتكلم ولكنه لا يري ولا يسمع، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْي فهم لا يفقهون. عجباً لأمر المُلحِدين والمُشكِّكين الذين ضَلَّ سَعْيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسَبون أنهم يُحِسِنون صُنعاً، يحلُو لهم أن ينزعوا بأيديهم ثَوْبَ الأخلاق والفضيلة عن أنفسهم ويُبدون سَوْأَتهم ويجهرون بها عندما يتسلَّحون بالرذائل والشمائل المُخِلَّة التي تقودهم حتماً إلي الدَرَكات السُفْلَي، وهَيْهاتَ أن يَرْقوا بها إلي الدرجات العُلَي والتقدم الذي يُداعب خيالَهم المريض ونفوسَهم العليلة بداء الإلحاد. وجديرٌ بالذِكْر أن مِن دُعاةَ الإلحاد الغربي المعاصر مَنْ يؤمنون بالوجود الإلَهي مثل آيْنشتايْن الذي يُقِرّ بأنه لا عِلمَ بدون إيمان عميق، ويري أن العِلم بلا دين أعرج وأن الدين بلا عِلم أعمي!!!

إن كان هناك صراعٌ حقيقيّ فهو الصراعُ بين المادِّيَّة الطبيعية كمنْهَج عِلمي بَحْت لا يؤمن بالأُلوهيّة والغيْبيّة أو بأي وجود فَوْقَطبيعي، مَنْهَج يتبنَّي الطبيعة من خلال قوانينها بِمَنْأَي عن الغيبيّات الإلَهيّة، وبين الدين. ها هنا يكمُن جَوْهر النظرية الإلحادية أو المذهب الإلحادي، أَيّاً كان المُسَمَّي. فلْتكُن الطبيعة - أيها الإنسان العصري المُلحِد - إلَهَكَ المُتَّبع الذي تقدِّسه وترفع له قُبعَّتَك في انحناءٍ وخضوع، إنك إذن تعترف في ذات الوقت بأن مقامك في المستوي الأدنَي، أنك ناقص وبحاجة إلي من هو أعلَي منك مقاماً ورِفْعة ليُكمِّلَك ويَسُدَّ ما بك من نقص، أنت تُسمِّيه «الطبيعة»

وأهلُ الدين والأُلوهية والإيمان يُسمّونه «الله» الواحد الأَحَد الذي ليس كمثلِهِ شيء، فلْتبْقَ علي اعتقادِك ومَنْحاك، أنت مؤمن بالعبودية ومُوحِّد بالسليقة رغم أنفك، شِئتَ أم أَبْيت، فلا عليك بالميْل والانحراف عن الصِراط المستقيم، آمن واستقِم علي ما فُطِرْتَ وجُبِلتَ عليه، وإلَّا فإنك من الخاسرين الأخسرين والدينُ النصيحة. إن المذهب الطبيعي الفلسفي الذي تعتنقه زاخِر بالسلبيّات، وأخطرها - كما يقول د/عمرو شريف في كتابه «خُرافة الإلحاد» - اعتبار أي ظاهرة ليس لها تفسير طبيعي ظاهرة غير علمية، أي أن الطبيعي فيه علمي والعلمي طبيعي ولا يعترف بأي تفسير آخر، إنها نظرة أُحاديّة غير منطقيّة وفي هذا الصدد يري د/ عمرو شريف أن التوافق الحقيقي العميق بين الدين والعِلم يقوم علي كل العلوم التي تقوم بدوْرِها علي كَوْن الكَوْن منظَّماً ومنتظِماً نظاماً ثابتاً راسخاً ودقيقاً ويستشهد بمقولة آيْنشتاين المشهورة: «إن أكثر الأمور استعصاءً علي الفهم في الكوْن أنه مفهوم»، حقيقة إيمانية دامغة ما كان لِلعلم أن تقوم له قائمة بدونها. فهناك ولا شك قوانين طبيعية منظِّمة للكون تنُمّ عن وجود غيْبي يعلُو علي عالَم الشهادة الذي يحياه الإنسان. ولْنتساءل في هذا السياق لنتيقَّن من هذا الانضباط الدقيق وحقيقته عمَّن وراء إشراق الشمس وإغرابها اليومي في مواعيد منتظمة ومُحددَّة، وعن بزوغ القمر ودَوَران الكواكب والنجوم، من ؟ إنه ولاشك مُدير الكون ومُدبِّر شئونه، هو الله، هي سُنَّته الكَوْنية المسئولة عن قانون الانضباط الطبيعي الذي يضمن للكون ثباتَهُ وعدم انهياره، سُنّة الله الواحد الأَحَد، ولن تجدَ لسُنّةِ اللهِ تبديلاً ولا تحويلاً، رفع السماوات بغير عمدٍ ظاهرة للعيان والحمدُ لله الذي يُمسك السماوات والأرض أن تزولا أو أن تقع السماء علي الأرض إلَّا بإذنه.

ونودّ أن نستشهد مع د/ عمرو شريف في هذا المقام بمقولة تدعم

ضرورة وجود الإلَه الواحد لكل ما في الكون، هي للعالِم الشهير فرانسيس بيكون أبي العِلم الحديث، يقول : «إن الإلَه أمدّنا بكتابيْن، كتاب الطبيعة والكتاب المقدَّس». كما نري، هذه معلومة ليست غريبة علينا، فهي معروفة لنا وتجري علي ألسنتَنا، فنحن نُطلق علي هذه الثنائية «الكتاب المنظور والكتاب المسطور». من هنا كان التوحيد في إلَهٍ واحد والإيمان به، لا بآلهة متعدِّدة، ضماناً لانتظام الكون وعدم انهياره، وأساساً للعِلم الحديث. ولو رجعنا بالذاكرة إلي الوراء لوجدنا جذوره التاريخية منبتُها عصر قدماء المصريين برعاية المَلِك إخناتون إلَهِ التوحيد وقتها.

إن العِلم الذي لا يُقرُّ بالغَيْب ولا يعترف إلا بما يُحَسّ ويُلِمَس ويريد أن يري الإلَه ليُقرَّ له بالأُلوهيّة هو ذاته مشوب في مجموعه بالغيب، والآخذون به يؤمنون بما لم يرَوْه ويكتفون بالأثر ويبنون عليه النظريات العلمية مُتوخِّين فيها الافتراضات والتخمين، ما هو عْينُ الغيب، أما كُنْه أو جَوْهر الأشياء فهو مجهول بالنسبة لهم، يكتفون بظواهرها التي يتحسَّسونها ولا يخوضون فيما وراءها. العِلم إذن محدود وأَوْلَي به - كما يقول د/ مصطفي محمود في هذا الصدد - أن يؤمن بالغيب بدلاً من الاكتفاء بالافتراض والتخمين، ومن هذا المُنطلق غير المنطقيّ يذهب إلي تسمية العصر الآنِي الذي يعيشه الإنسان «عصر العِلم الغَيْبي»، يتربَّع فيه العِلم علي العرش بلا دين أي بلا أخلاقيات، يزخَر بالتَرف المادي المجرَّد من الروح، ويحلُو له أن يُطلق علي هذه الماديات أو معبودات الزمان المادية الخالية من الروح «المسيخ الدجّال» لأنه ترف ذو اتجاه واحد، أَعْوَر، يفتقد الروح، عينه الثانية، ولو أننا أَمْيَل إلي اعتبار هذا التَرَف المادي البَحْت في حُكم الأعرج بدلاً من الأَعْوَر، لأن الأعرج مُعَوَّق عن التقدم في خطوته مما يتسبَّب له في التأخُّر والتخلُّف والتقهقُر، أما الأعور فيمكنه أن يتقدم إلي الأمام دون أي تأثير سلبي علي خطواته من

عَيْنه العوراء، فعَيْنٌ واحدة تكفيه ليري بها طريقه، ولكنَّ العين تفْضُل الرِّجْل بنور البصر الذي يتواءم مع طبيعة الروح النورانية الشفّافة؛ وقد استعار د/ مصطفي محمود هذه التسْمِية (المسيخ الدجّال) من الكاتب البولندي «ليوپولد ڤايس» الذي أسلم - كما ورد في كتاب «رحلة الشك واليقين» - وعاش في مكّة وسَمَّي نفسهُ «محمد أسد»، ونراها معه تسمية مناسبة وُفِّق في اختيارها ليخلعها علي عصر المَسْخ المادي البَحْت الذي نعيشه بكل ما فيه من تقدم علمي في الغرب انبهر به الشرق وسائر العالمين، ودفعه هذا الانبهار إلي التبرُّؤ من الدِين بل وازدرائه واعتباره خُرافة وتخلُّف وراح يلهث في اللحاق بركْب الحضارة والتقدم المزعوم ودخل بِمَلْكِه المعبَد الذي شيَّده الغرب لعبادة الإلَه الجديد، إلَه العلم المادي، تلك الوسيلة التي حوّلها إلي غاية، سخَّر نفسه لها بدلاً من أن يُسخِّرها لنفسه فانقلبت الموازين لصالح القوة المادية الطاغية المُسيطرة المُهيمنة لا لصالح البشرية بل لدمارها وخرابها بسبب الأطماع المتزايدة في هذا الترف المادي والصراع من أجله في سباقٍ محموم وسُعارٍ مذموم تراجع أمامه الإيمان بالإلَه الواحد، الله، وارتفع شًعار «لا إله إلَّه العِلم»، «لا إلَه إلاّ المادة»، وبئس الشِعار وبئس المنْحَي وبئس المصير الذي آل إليه الغرب ومن تبعه. ولْنتصفَّح الساحة العصرية لنرصد النتائج والعواقب الوخيمة لهذا الخراب الروحي والنفسي الذي غمر العالَم واستشري في أَوصاله يُفتِّتها:

نتج عن هذه الصراعات المحمومة ظاهرة الطبقية والعنصرية، صراع الحضارات والمعتقدات، إدمان المُخدّرات، انتشار الذُعر والخوف، والقلق والقتل والانتحار في دُوَل غنيّة ثريّة، عمَّت الكآبه، طَغَت الهموم والغموم وحلّت التعاسة بدلاً من السعادة الموعودة، والسبب معلوم للجميع، ألا وهو إنكار الوجود الإلَهي واستبداله بالعبودية للقوّة المادية الخاوية من

الروح أملاً في تحقيق السعادة المرجُوَّة. أَضِف إلي ذلك اعتبار الدين، عِلم الكلّيات والشُموليّات لكل العلوم التي يحويها، خُرافة واستبداله بعلوم الجُزئيّات واعتبارها مذهباً يُعتنق (المذهب الطبيعي الفلسفي).

نخلُص من كل ما تقدّم عن هذه الثنائية الأخيرة، ثنائية «الدين والعلم» أو «العلم والإيمان» بالآتيَ من الإقرارات والتوصيات التي سبقنا إلي رصدها د/عمرو شريف في مُؤلَّفه «خُرافة الإلحاد» ود/ مصطفي محمود في مُؤلَّفه «حوار مع صديقي المُلحِد» والكتاب الذي صدر عنه «رحلة الشك واليقين»، ونودُّ هنا أن نُسلِّطَ الضوء عليها:

- لا تعارُض أو تناقُض بين الدين والعِلم. الدين الإسلامي هو الدين الأمثل الجدير بالاتّباع والاعتناق لسماحته واعترافه بالآخر ولموازنته بين المادّية المتمثّلة في الجسد والمظهر والروحانية المتمثّلة في الجَوْهر والمَخْبر، وهو يُحثّ علي العِلم ويشيد بمكانته الرفيعة ومكانة العلماء.

- القرآن والسُنّة يزخران بمؤشّرات كثيرة تشير إلي وتشيد بشرف العِلم والعلماء ومكانتهم العلِيّة والحثّ علي الأخذ بالعِلم.

- القرآن يحوِي إشارات ولَمحَات تتوافق وتتطابق مع الاكتشافات العلمية العصرية الحديثة بلا تناقُض أو تضارُب، حقائق علمية لم تظهر في عصر نزول القرآن ولم تكن معروفة وقتها بل لاحقاً في عصور متأخّرة.

القرآن يحْوى في طيّاته علماً محيطاً شاملاً مُطلَقاً غير محدود، يشمل ما فات، وما هو آت قبل حدوثه، وصِدقُهُ مُطلَق لأنه من لَدُن حكيمٍ خبيرٍ عليم في مقابل الصدق النِسْبِيّ لأي مُؤلَّف من قِبَل البشر يُحتمل تغيُّر رؤيته علي مرّ الزمان، وهنا يكمُن سِرّ إعجاز القرآن.

- الصراع بين العلم والدين صراع وهمي غير حقيقي، الصراع الحقيقي ما هو إلا بسبب خِلاف دائر بين العلماء المُتديِّنين وغير المتديّنين (المُلحِدين) أو المؤمنين وغير المؤمنين (الكافرين المُنكرين).

- لا حضارة بلا فهم صحيح للدين والعِلم.

- لا اقتصار علي الدين دون العِلم ولا علي العِلم دون الدين إذ أن بينهما علاقة متبادلة، فلا غِنَي لأحدهما عن الآخر، كِفَّتان مطلوب تكافؤهما في الميزان، كِفَّة المادة وكِفَّة الروح لصالح البشرية جمعاء، ذلك لأن الوسائل المادية وحدها لا توفِّر للإنسان السلام الروحي والنفسي ولا تحفظ عليه كرامته واعتباره بل تجلب عليه الخراب الروحي والدمار الشامل لكل مقوِّمات الإنسانية.

- لا يعرف الإنسان ذاته ونفسه إلا من خلال معرفته للإلَه الواحد الكامل المُتفرِّد، والتفرُّد - كما ذكرنا آنفاً - حقيقة علمية جَوْهرية.

- يتعيّن تجديد الفكر العلمي والفكر الديني (لا الخطاب الديني وفقط) للوصول إلي عُمق التوافق بين العِلم والدين أو الدين (الإيمان) والعِلم وصهرهما في بَوْتقةٍ واحدة.

الطريق إلي الله

بالمــآب والعَــوْد الحميد

من خلال أربعة نماذج مُختارة
لرحلات من الشك إلي الإيمان ثم اليقين

فيما يلي نستعرض أربعة نماذج مختارة عرفوا طريقهم إلي الله الخالق، بُغية وغاية كل مخلوق، تمادوا في الباطل وأَوْغلوا فيه وتَوَغّلوا وفي نهاية المطاف رجعوا عنه وعادوا إلي الحق الحقيق الذي لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يُخطئه إلَّا الخاطئون، والذي لا يعزُبُ عنه مِثقالُ ذَرَّةٍ في السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثَرَي، إنه ذو المُلك والملكوت، ذو القوة والجبروت، الحيّ الذي لا يموت والجنُّ والإنسُ يموتون.

تتعدَّد الوسائل في الوصول إلي معرفة الَله الواحد الأَحَد المُتفرِّد، المركز من الدائرة التي يُشكِّل مُحيطُها هــذه الوسائل المتعدِّدة التي توصِّل إليه [١] . وفيما يلي سوف نتعرّف علي الوسيلة التي اتخذها أصحاب هذه النماذج الأربعة ممّن آمنوا بعد كُفر ورشدوا بعد غيّ فاهتدوا.

النموذج الَأوَّل لأحد كبار ملاحدة العصر الحديث الذين اعتنقوا الإسلام بعد تجربة طويلة امتدّت حتي أواخر العمر، هو العالِم البريطاني أنطوني فْلُو Antony Flew (١٩٢٣ - ٢٠١٠) الذي أعلن إيمانه سنة ٢٠٠٤ بعد بلوغه سن الثمانين؛ تخصص في الفلسفة في جامعة أُكسفورد، كان يدعو إلي اتباع المنهج العلمي في الأمور الدينية فحكَّم بذلك العِلم في الدين. لم يكُن يؤمن بالأديان السماوية ومات وهو يبحث عن أَدِلّة تواصل الإلَه مع البشر. فشل في رحلته في الوصول إلي دليل علي الوجود الإلَهي لرب الأسباب فضلَّ الطريق وانحاز للإلحاد وركن إليه. كيف عَدَلَ وتحوَّل أشرس مُلحِدي العصر الحديث هذا عن الإلحاد وما هي الطريق التي سلكها في البحث عن الحقيقة؟ إن رحلته إلي الحق والحقيقة رحلة علمية عقلية بَحْتة لا دَخْل للإيمان القلبي فيها. انطلق من كتاب الله المنظور، الكوْن والنفْس البشرية؛ تجربته تقوم علي اليقين العلمي واليقين العقلي كأساسيْن منطقيَّيْن، الاكتشافات والقفزات العلمية المتلاحقة في أواخر القرن العشرين هي الدافع وراء تحوُّله عن الإلحاد إلي الإيمان، فقد

(١) د/ عمرو شريف: «خُرافة الإلحاد ص ٤٥٣.

استدلّ في نهاية رحلته الُمطوَّلة علي وجود الإلَه الأَوْحَد، الله، فتحوّل عن الإلحاد واعتنق الإسلام وأصدر كتاباً أسماه «هناك إلَه».

التجربة الثانية علي طريق الإلحاد فالإيمان فالإسلام هي لعالِم الرياضيّات الأمريكي جيفري لانج yeffrey Lang الذي انطلق في رحلته من كتاب الله المسطور، القرآن الكريم، ولعب الإيمان القلبي في رحلته دوراً كبيراً من خلال رُؤيا في منامه علي مدس عشر سنوات متوالية تحققت في نهايتها فاعتنق بعدها الإسلام. لما راح يسترجع هذه الرؤيا المنامية ويتذكَّر مسار حياته ومشاعره بعد الحصول علي درجة الدكتوراه كان يقول أنه لم يلتفت إلي هذه الرؤيا التي رآها تكراراً علي مدي سنوات وسنوات لأنه كان يعتقد أن الحصول علي الدكتوراه يُمثِّل بالنسبة له قمة السعادة في الإحساس بالذات والزَّهْو، وتوالت نجاحاتُهُ فبدأ يتساءل عن تلاحق ثم تلاشي هذه النجاحات وتواتر السعادة بها ثم زوالها معها، راح يتساءل عن مَغْزَي هذا التكرار في حياته: فرحة مصحوبة بنشْوَي ثم زوال وهَلُمَّ جرًّا، وراح يبحث في فكره عن شيءٍ آخر أَبْقَي وأَدْوَم بلا زوال فاهتدي فعرف الله وآمن به وبرسوله. انطلق في رحلته من القرآن وشعر وهو يقرأه لأَوَّلِ مّرة أن القرآن هو الذي يقرأه، أي أنه يُجيب علي أسئلته وخواطره، علاقته بالقرآن كانت علاقة من نوع خاص، علاقة تفاعلية بمعني أنه هَيِمَن علي عقله وأقنعه، أَحسَّ أن القرآن يتحدَّاه وأن الذي أنزله يعرفه أكثر مما يعرف هو نفسه، أنه يسبقه دوماً في تفكيره، فلم يجد أمام هذه التجربة الروحية بُداً إلَّا اختيار الإيمان. توصَّل هذا العالِم إلي الإيمان بالتفكير والتأمُّل في كل ما جاء به القرآن من أسئلة، ١٢٦٠ (ألف ومائتان وستون) سؤالاً يجيبون بتحدّيٍ علي كل ما يجُول بخاطره بإقناع. قراءة هذا العالِم للقرآن ومنهجه جعلته يحسّ أنه يأمره أن يفكِّر ويتقصَّي الحقائق، فهو يعلِّمه أن يفكِّر ويتساءل بدِقَّة، وفي ذلك جَوْهرُ الإيمان الحقيقي الصادق الذي يترسَّخ باليقين العقلي والعلمي، وذكر علي سبيل المِثال في هذا المقام سؤال الملائكة لربهم: «أتجعلُ فيها من يُفسِدُ

فيها ونحن نُسبِّحُ بحمدك ونُقدّسُ لك؟».

وسؤال إبراهيم لربه : «ربِّ أَرِنِي كيف تُحْيي المَوْتَي؟».

التجربة الثالثة أدخلت صاحبها د/ عبدالوهّاب المسيري حظيرة الإسلام والإيمان انطلاقاً من سلبيات الحضارة المادية المعاصرة التي أدّت به إلي إدراك سلبيات الفكر المادي، واكتشف أن الدين أُنموذج معرفي كامل يشكِّل جزءا من الكيان الإنساني، وأقرّ من خلال هذا المفهوم للدين بأن الوجود الإلَهي هو الضمان لإنسانية الإنسان ووجائه من الوحشية والسُعار والتكالب الذي يُخضِعه للماديات الخالية من الروحانيات السامية؛ جعله الإيمان يُبصر بالبصيرة وهو مُغْمَض العينين اللتين تتحوّلان بفعل الإيمان إلي عيْن حِسِّيَّة تطلّ علي عالَم الشهادة بالمشاهدة وأخري روحية تستمدّ نورها من عالَم الغيْب، وهذه نجدها عوراء عند الملحدين المُنكِرين والمتنكِّرين للغيْب مما حدا بالدكتور/ مصطفي محمود إلي تشبيه المُلحِدين العصريين الماديين بالمسيخ الدجّال المُنتظَر وعصرهم الذي يعيشونه بعصر المَسْخ، لهم عيْن لا تري ولا تؤمن إلا بالقوة المادية وأخري عليها غشاوة من نسْجِهم، عَوْراء عمياء عن الروح اللامادية الشفّافة، قُصور ما بعده قصور، وعَجْز ما بعده عجز من صُنع خيالهم المُشَوَّش وعقولهم المَوْتورة ونفوسهم المريضة بداء الإلحاد.

اهتدي هذا المفكِّر صاحب النموذج الثالث بنور الله إلي الإسلام فاتخذه ديناً وجد فيه ضالَّته واعترف له بالحق ولإلَهه بالهيْمنة بعد أن درس الذات الإنسانية بعمق وتأمُّل دقيقيْن أدرك بهما قيمة ثنائية الروح والجسد الكامنة فيها والمحرِّكة لها وأرجعها إلي من فيها أَوْدعها والقاهر فوقها.

ما أَرْوَعَ العبارات التي ساقها د/ عمرو شريف في كتابه [١] للتعبير

---

(١) خرافة الإلحاد، أعلي ص ٤٧٩.

عن رَوْعة مُنطلق ونَهْج المفكرِّ العصري د/ عبدالوهاب المسيري صاحب التجربة المعروضة في طريقه إلي الله ورُسُوِّه علي برّ الإيمان قائلاً ما نصُّه «ما أروعك أستاذي المسيري: أمور تمرّ علينا مرّ الكرام، نحسبها بديهيّات الحياة، فإذا بك تعتصر منها رحيق الإيمان الذي يُسْكِر القلب وبراهين الألُوهيّة التي تُسجِدُ العقل».

التجربة الرابعة والأخيرة مما وقع عليه اختيارُنا من نماذج لكبار الملحدين الذين زلّت قدماهم بالخَطْو علي حبْلٍ ثنياهُ الشك واليقين، تأرجحوا بينهما ورَسُوا بهدْيٍ من الله علي مَصَبّ اليقين بعد أن جرفهم التيّار في نهر الإلحاد وأَوْغلوا في خِضمِّه راغبين وشاءت عنايةُ الله أن ينجُوا بأمره من يمّ الإلحاد الغريق ويخرجوا منه سالمين غانمين ليجعلهم عبرة وقُدوة لمن يحيد عن الطريق المستقيم ولا يستقيم؛ تتمثل هذه التجربة الأخيرة في رحلة منطلقُها العقلانية التي أوقعت صاحبها د/ مصطفي محمود في هُوَّة الشك والريبة السحيقة، وهي تعتبر خليطاً أو مزيجاً من الرحلات الثلاث المُفنَّدة آنفاً، فهي تتوخَّي في مسراها البحث العلمي والتأمُّل العميق في كتابيِّ الله، المنظور (الكَوْن) والمسطور (القرآن الكريم) وفي النفس البشرية بشِقَّيْها، المادّي (الجسد) واللا مادّي (الروح)، هذا مُطلَق لا يفْنَي وذاك محدود ويغْنَي. لقد قطع صاحب هذه الرحلة الإيمانية د/ مصطفي محمود رحلته من المحدود (العِلم المادي البْحت) إلي اللامحدود (الله). انطلق من الشك والتشكيك في الوجود الإلَهي بسبب الجدل الذهني والعُجب بعقله لدرجة العبادة التي استغرق فيها فغرق في بحر من الظُلُمات التي خيَّمت علي عقله فضلَّ الطريق إلي مَوْلاه وخالقه فانحرف بل شَطّ شططاً بعيداً في كِبْرٍ وعناد وصَلَف، فأخذ بقانون السببيّة وسوَّي بأمره بين المخلوق والخالق واستخدم المقاييس والمعايير البشرية الدنيوية بحثاً عمَّن خلق الخالق، أعرض عن ذِكْر الله، عن قرآنه، فكانت

معيشته ضَنْكاً بأن زلَّ في غيابات الريبة والشُبُهات التي دفعته إلي كثرة الجَدَل وأثارت فيه شهوة التساؤل وجعلته يقول مع القائلين المُلحدين: لا إلَهَ إلاَّ العِلم؛ فُتن بالعِلم المادي ومنجزاته واكتشافاته وبعقله وقُدرته الذهنية فتراجع لديه الإيمان، ولو أنه استسلم للفِطرة السَوِيّة بداخله التي جُبلِ عليها لاهتدي بنورها إلي معرفة الله، الحق المُطلَق الذي ليس كمثله شيء، والذي يَسأل ولا يُسأل ولا يُفَتَّش عنه.

إلحاقاً بهذا العرض لهذه الرحلة البحثية المُضنية للنفْس والتي حمّلها صاحبُها ما لا تطيق مما كان في غِنًي عنه، نودّ أن نُدلي بدَلْونا فيها تعبيراً عن رأينا الشخصيّ في مسارها من المُبتدَي إلي المنتهي ونقول: إن الدكتور مصطفي محمود كان قبل العَوْد والمآب إلي مُسبِّب الأسباب أثناء رحلته من الشك إلي الإيمان واليقين مُعَوَّقاً في التفكير والتفكُّر من شدة ما كبَّله الكُفر الذي رَسَفَ في أغلاله وحَدَا به إلي عبادة عقله وذاته والعُجب بهما والثقة الزائدة فيهما مما جعله ينسي الخالق بل يُنكر ويُشكِّك فيه ويتساءل مع المُعرِضين المُنكرِين عن وجوده ومصدره ومنبعه، كيف ومن أين جاء. خاض بالكُفر بحر الظلمات ولاطمته أمواجُه العاتية فراح يُغالبها وتُغالبه حتي هداهُ الله بنور الإيمان إلي قطْع الشك باليقين والعَوْد الحميد إلي دار الإيمان والأمن والأمان. أفاق بهداية من الله تعالي من غَفْوته وغفلته وهجر الطاغوت الذي ساقه إلي الضلال بعيداً عن مَوْلاه، هَوَاه الذي اتخذه إلَهَه فعبده بعدما أغواه، ومن هنا بدأ غيثُ الإيمان يملك عليه قلبه وعقله ودخل في عِداد أُولي النُهَي والألباب الذين تشير إليهم آيات القرآن الكريم مِرارًا وتكراراً، وانطلق في الفكر والتفكير والتفكُّر في خالق الخلْق والسماوات والأرض كالمارد الجبّار بكل طاقته، بنور البصر والبصيرة، يتحدَّي ويتصدَّي بالمحاججة والمناظرة والإقناع والإفحام والتفنيد الواعي المُستنير، يجادل ويحاوِر المُعرضين المُعارِضين المُنكِرين المُشككِّين بثبات

وصلابة وبلا رهبة أو مجاملة، وقد نجح في دُفوعه جميعها نجاحاً باهراً بإعمال عقله وتسخيره لخدمة الإسلام والمسلمين بعد أن ثاب إلي رُشده وخرج من الظلمات إلي النور وعرف الحق المُبين وعِلْمَ اليقين أنه لا إلَهَ إلا الله القويّ المتين، فأيّده بالحق وأيّد الحق به ونصره علي نفسه وعلي غيره من الضالّين المُضلّين بالحِكمة والموْعظة الحسنة، فأحق به الحق وأزهق به الباطل.

هجر د/ مصطفي محمود حِزب، بل وِكْر الشيطان وانتمي إلي حزب الله الواحد الأَحَد الفَرْد الصَمَد وتمسّك بحبله المتين وأهدابِ عرشِهِ المكين مع الذين رَضِيَ اللهُ عنهم ورَضُوا عنه بعد أن كل قد ضلَّ الطريق مع الأخسرين أعمالاً من المُلحِدين الذين ضلَّ سعيهُم في الحياة الدنيا وهُم يحسَبون أنهم يُحسِنون صُنعاً، ولكنَّ الله سلمَّ وأمهله في رحلته ونجاّه من سُوء نتاج عقله الغَرور الغرّار الذي عبده من دون الله ووقاه سُوءَ المآل لعلمه المُسبق بأوْبته إليه، وقد كان في غنيً عن سوء المسيرة والمسار؛ ما أرحمَك.. وما ألطفَك بعبادك.. يا الله! إنك لا تهدي من أحببت ولكنَّ الله يهدي من يشاء.

نداء الإيمان
إلي
واحة الأمان

أَيُّها المُلحِدون!

عمَّ تسألون؟!

عمَّن لا تراهُ العيون.. ولا يصِفُهُ الواصِفون؟!

وفيم تُشكِّكون؟!

فيمن لا تخالطُهُ الظُنون؟! في خالقِ الخَلْق - وأنتم منهم - وخالقِ الكون؟!

في آياته أفلا تُبصرون؟! أفلا تتفكَّرون؟! أفلا تعقلون؟! أم مسَّكم المُجون؟!

أفلا تعلمون أنه لا يُسألُ عما يفعلُ وأنتم تُسألون؟! وستُسألون.. ولسوف تعلمون - إن لم تكونوا تعلمون - أنكُمُ الخاسرون، يا مَنْ بالغَيْبِ لا تؤمنون. أفلا تصدِّقون أنكم ستُبعثون ثم تُحشرون؟!

يا مَنْ بلقاء ربكم تكفرون وله مُنكِرون، أيها الرافضون وعلي قضاءِ ربكم مُعترضون، إنكم مُغيَّبون ولن تُفيقوا من غفلتكم إلا بعدما تموتون، حينئذ من غفلتكم تصحون التي أنتم فيها غارقون، ورحمةَ ربكم حينئذ تَرْجون ولا تنالون، وتتمنُّون العَوْدَ إلي دنياكم، ولكنْ هَيْهات.. فسوف تُحاسَبون علي ما كنتم تعملون. واحسرتاه، واندماه علي ما كنتم فيه تُفتنون، ذوقوا جزاءَ ما كنتم بأيديكم تَجْنُون، مع أنكم كان لكم عُيون.. ولكنّ بها لا تُبصرون، وآذان.. ولكنْ بها لا تسمعون، وقلوب.. ولكنْ بها لا تفقهون، ولسوف تُردّون إلي بارئكم وتُحاسَبون علي ما كنتم فيه وعنه تُلحِدون، يومَ لا ينفعكم المالُ ولا الجاهُ ولا البَنون.

أَيُّها المُلحِدون!

فيم تخوضون.. وأنتم تعلمون.. أنكم تُخلَقون ولا تَخلُقون؟! ولو أنكم وتفكّرون.. لعلمتُم أن إلَه الكون هو أَوَّلُ وآخِرُ من كان ويكون وسيكون،

وأنكم أنتمُ الذاهبون وإليه كادِحون، راجعون شئتم هذا أم لا تشاءون، ولعلمتُم أنكم مُخطئون، إذ أنكم بين الخالقِ والمخلوقِ تُساوون.

علامَ تُصِرّون أيها المُكابرون المُتكبرِّون، يا مَنْ أنفُسَكم تَضُرُّون، ولسوف تعلمون في اليوم المعلوم أن خالقكم يقدِرُ ولا تقْدِرون، وأنه يعلمُ وأنت تجهلون.

أيُّها الماكِرون!

أَلَا تنتهون.. وتكُفُّون عنِ الإلحاد.. عنِ الجُنون والمُجون.. وتُذعِنون.. وتهتدون.. وتؤمنون؟!

ألا تتخلُّون عما تقترفون من ذنوبٍ وأَوْزار أنتم بها مُثقَلون.. أيها المُمْتَرون.. المارِدون.. يا مَنْ الكُفرَ والعِصيانَ تُفضِّلون؟! أَتستحِبُّون العمَي ولا تُبصرون؟! أتبغونَ صُحبةَ فرعْونَ وهامانَ من سالفِ القُرون؟! أيها الغافلون وعنِ الصِّراطِ ناكبون وإلي السعيرِ سائرون وصائرون؟! أَفيقوا.. لعلكم ترشُدون!

أَيُّها الزالُّون!

يا مَنْ في خَوْضٍ تلعبون! أَفيقوا من غَمْرةٍ أنتم فيها ساهون، تسألون وتتساءلون. اتقوا يوماً أنتم فيه علي النارِ تُفتنون ومُبعَدون كلَّ البُعدِ عن الجنّاتِ والعُيون حيث تذوقون ما كنتم إيَّاهُ تستعجلون، اتقوا يوماً تُدعُّون دَعّاً إلي نارِ جهنَّم التي أنتم بها تكذِّبون! أيها الطاغون، إنما تُجزوْنَ ما كنتم تعملون! ألا تُفرَّقون؟ ألا تُميِّزون؟ عمَّ تسألون؟ لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تسُؤْكم، تبَّت يدا من قالوا ويقولون «لا إلَهَ إلَّا العِلم»، «لا إلَهَ إلَّا العقل»، «لا إلَهُ إلَّا الطبيعة» وكل ما شابههُم مما تعبُدون!.

أَلَمْ يأْنِ لعَبَدَةِ الهَوَي والشيطان الملعون أن يدخلوا في كَنَفِ الإيمان المأمون؟ فيؤمنوا برب الكون؟! ربِّ «كُنْ فيكون»؟! أم يُصرّون علي الصدودِ والإعراض وسَيِّيءِ الظنون؟ ساء ما يعبدون!

لو أنكم تتوبون.. تُطيعونَ ولا تعصون، تَقْنَتونَ ولا تَقْنَطون.. تهجرونَ الكُفرّ ولا ترتدّون، علي الصلاة تداومون وتحافظون وبها تستعينون .. وللزكاة تؤدّون .. وعهودكم تُراعونَ وبها توفون، لا تنكُثونَ ولا تنكصون والفواحِشَ تتجنَّبون... تعفونَ وتصفحون.. وعنِ اللغْوِ تُعرِضون.. تُبشِّرونَ ولا تُنفِّرون، تُنفقونَ ولا تُمِسكون، لا تُقتِّرونَ ولا تُسْرِفون.. لا تنافقون.. ولا تجادلون.. من السؤال والتساؤل لا تُكثِرون.. الصالحينَ تجالسون.. لا تتسلَّطونَ ولا تتجبَّرون.. بنِعَمِ الله لا تجحدون، بل إيّاهُ تشكرون، تكرهونَ ما يكرهُ لكم وما يحبُّهُ تُحِبُّون.. تُحرِّمونَ حرامَهُ وحلالَهُ تِحلُّون.. تُسبِّحون، تُهلِّلون، تُكبرِّونَ وتذكرون.. الخيراتِ تستبقونَ والمُنكراتِ تتركون.. لا تزِلّونَ ولا ترفُثون.. إلي المساجدِ تغْدونَ وترُوحون.. صحتَكم ووقتكم تغتنمون ولا تُضيِّعون.. في فعلِ الخير وخيرِ الفعل إياهما تستغلّون، فأنتم فيهما مُغْبونون.. ولو أنكم السيئةَ بالحسنةِ تدفعون.. إحسانَكم تنسونَ وإساءاتكم تذكرونَ وعنها تكفِّرون.. يَوْمئذٍ أنتُمُ الآمنونَ المَوْعودون ولجنات النعيم الوارثون، والإحسانَ بالإحسان تجازون.. لو أنكم إلي الخير تدعُون.. والمعروفَ تصنعون.. فيمَ بعد ذلك تطمعون؟

كل ذلك أنتم فيه مُخيرَّونَ لا مُسَيَّرون، فاختاروا الانتماءَ إلي حِزبِ الله قبل أن يحِقَّ عليكم عذابُ المَنونِ بما كنتم تصنعون، يوم تُحشرون! كونوا نِعْمَ لا بِئْسَ المُنذَرون الموعَظون حتي أنفُسَكم لا تظلمونَ فتهلكون.

أَيُّها المُعرِضون!

أنتُمُ الأَخسرون.. لا المُفلحون، إذ أنكم تضِلّون، تُفسِدون.. ولا تُصلحِون، وتحسَبون أنكم الصنعَ تُحِسنون. لو كنتم تفقهون لعلمتُم أنكم بالخير والشَرّ، بالغنَي والفقرِ تُفتنون، لكنكم حريصونَ ومُصِرّونَ علي الإعراضِ الذي يَنْأَي بكم عمَّن إليه تنقلبون ويُحِّملكم من الأوزار ما لا تُطيقون، إنكم بذلك أنتُمُ المُبعَدونَ لا المُقرَّبون وعن ربكم محجوبون.

أَيُّها المُكذِّبون!

يا مَنْ لا تصدِّقونَ أنكم إلي خالقكم تُرجعون، تمُارون.. تشُكّون.. وتشكِّكون.. تعلمون ولا تجهلون أنكم مخلوقون لا خالقون وأن الله هو خالقكم وخالق الكون، ومع ذلك أنتم تستهزئون. يا مَنْ عقولَكم وهَوَاكم من دونِ الله تعبُدون.. الحياةَ الدنيا تشترون والآخرةَ تبيعون وبالله تُشرِكون، بئْسَ ما تفعلون يا مَنْ بالمُنكرِ تأمرون وعنِ المعروفِ تَنْهون ونِعَمَ اللهِ عليكم تنْسُون وتتناسون، أفلا تعقلون وربكم تتقون وبنعَمِه وآلائه تُقِرّون وتُوقنون؟! إنكم فاسقون بدليل أنكم الصلاةَ لاتُقيمون وعنها ساهون، لا تركعون ولا تسجدون، لا تستّجدن ولا تقدّسون وكَفَّكم لا تفُكّون؛ المال ُ الله، استخلفكم فيه ولكنْ منه لا تُتفقون، تمُسِكونَ وتبخلون وأيديكم لا تبسطون بل إلي أعناقكم تغلّون.. تقولون ما لاتفعلون، أيها المنافقون... تُعاهدون وتنقُضون. لو كنتم تؤمنون لكنتم تُرحمون، ولفُزتم بجنّاتِ النعيم حيث تخلُدونَ ولا تُعَذَّبون، ولكنْ هَيْهاتَ وأنتم مُستكبرون ومُعرِضون، ساءَ ما أنتم عليه كائنون.

يا مَنْ في غَيِّكم تعمهَون ولَمْ ولا تهتدون، ولسوف تعلمون أنكم أنتُمُ المَلومون أيها العادُون.. تزعُمون أنكم لا تُبعثون وبآيات الله تَجْحدَون، أَلَا تعرفون أنكم من العَدم تُخلقون، من نُطفةٍ ثم من عَلَقةٍ ثم من مُضغةٍ تُنشأون، والنشأةَ الآخرة تستبعدونَ وتُنكِرون أيها الجاهلون؟! إنكم لراجعون، وإنه لحقٌ ما توعَدون.. أيها المكذِّبون! اللهَ ورسولَهُ تحاربون، وتُعلنونَ الحربَ في عِنادٍ ولا تُسِرّون وتُظهرونَ العداوةَ ولا تُخفون؟! ما أصبركم علي النارِ يومَ فيها تُقذَفون، تُصبِحونَ وتُظهِرونَ وتمُسون وفيها تَلْبَثونَ وتمكُثونَ ولا تخرجون، يا مَنْ كنتم لهذا المصير بأيديكم تمَهْدَون. احصُدوا ما كنتم تزرعون وتغرِسون، الضالّون والمُهتدون لا يستوون، الضالّونَ في الأغلالِ مُقمَحون.. والمُهتدون في النعيم مُكرمَون.

أَيُّها الظانّون!

يا مَنْ تظُنّون أنكُمُ اللهَ تخادِعون، لا، بل أنفسَكم تخدعون، ولكنْ لا تشعُرون، ويوم تلقَوْنَهُ وتتمنّون لو أنكم تُردّون وإلي الحياةِ تعودونَ فتهتدونَ وتتعنونَ وتؤمنون، ولكنْ هَيْهات.. هَيْهات أيها المُعرِضون، أنتم كَمَنْ أيديهم إلي الماءِ يبسطون، يودّون لو يشربون، إنكم في العذابِ لابثونَ إلي يوم تُبعثونَ وبعدما تُبعثون، لا تستقدِمونَ ولا تستأخِرون.

أَيُّها الظالمون!

في اليوم المعلوم تَجْنون ما كنتم تزرعونَ وتغرِسون. يا مَنْ عنِ الباطلِ تدافعون وإيّاهُ تُحِقّونَ وتؤيدِّون... والحقَّ تكتمونَ وإيّاهُ تَدْحَضونَ وتُبطلون وعنه تغفلونَ وتنامون بل وإيّاهُ بالباطِل تلِبسون. انتظروا يومَ تُرجعونَ وربَّكم تُلاقون، يومَ تخرجوّنَ من الأجداثِ تُهرَعون وكأنكم إلي نُصبٍ تُوفِضون.

أَيُّها المُغيَّبون.. الحاضرون.. الغائبون!

الناصحون والواعظون إياكم يُحضّونَ علي الخروج من السجون التي دخلتم فيها بمَلْكِكُم وأنتم راغبون، ولكنّكم لا تسمعون وآذانَكم تصُمّون، وتسخَرون وتستهزِئون، يا مَنْ بالكُفرِ والغَيِّ تجهرون وبنارِهِ تَصْطَلون ولا تخافونَ يوماً فيه تُنشَرون وتُسألون. سوف تكونون، يا مَنْ في دنياكم كنتم تلْهون وتلعبون، في حزنٍ وندمٍ ولا تُسَرّون، ستبكونَ ولا تضحكون يوم تُحشرون. لا المالُ ولا البنُون يومها ينفعون، فأنَّي تُؤفكون؟ ليتكم تفزعونَ من مَحْبسكم ومَعْبدِكم إلي بارئكم، عليه تُقبِلون ورحمتَهُ تتلمّسون حتي أنفُسَكم لا تظلمون وأُخراكم لا تخسرون.

أَيُّها المُبطِلون.. المتجاوزون.. المُرتابون!

أَلَا تَسْأمون.. أيّها القاسِطون؟! تجارتكم خاسرة لأنها مع الشيطانِ الملعون، لكنْ مع الله الخيرَ كلَّ الخيرِ تجدون، ما هو أفضل من كل

ما تجمعونَ وتكِنزون، ولا شيءَ تفقِدون! أتُدركونَ عاقبةَ ما تقولونَ وتفعلون؟ إنكم لمُدرَكونَ بعذابِ الهُون بما كنتم تكسبونُ وعليه تعكفون وبه أنفسَكم تضُرّونَ ولا تنفعون. الأقدمونَ منكم والمُحدثون كانوا يبطشون ويدَّعونَ أنهم جبّارون. إنكم جميعاً لا تُعجِزونَ ولا تنتصرون، يا مَنْ كنتم بالفسادِ في الأرضِ تَعيشون. الآخِرونَ والأَوَّلون ممّن يحيدونَ ويُلحِدونَ ويصُدون إلي جهنَّم يُسحبون ويُسْجَرون، لا يحْيوْنَ فيها ولا يموتون، هم في الأصفادِ مُقرَّنون مع فرعونَ وهامانَ وقارون، بما كانوا يقترفون وهم بهم يقتادون، من شجرِة الزقّومِ سيأكلونَ ويملأونَ البُطون، شاءوا أم لا يشاءون، فقد كانوا منها لا يُشِفقون وفي الساعةِ يُمارون لأنهم مثلُهم آثمون، إنهم في جهنَّم يُجمَعونَ ويُصفَّدون، هؤلاء المُتْرَفون.

***

أَيُّها الشابُ المُرْتاب

لماذا ترتاب؟
أين العقل؟ لماذا غاب؟
لماذا تسومُ نفسَكَ سُوءَ العذاب؟
وأمامكَ الباب!
أَقْبل علي ربِّك التوّاب
تُفَتَّح لكَ الأبواب
فما ضاع بعدُ سعْيُك.. وما خاب.
غالِب هَواكَ الغلّاب
ولا تتَّبع شيطانَك الكذّاب
الذي يُسبِّبُ لكَ الأسباب.
لا تَدَع إيمانَك منكَ ينْساب
فتَزْنِي .. وتسرِق.. وتغتاب
وتُمْنَي بسُوءِ العِقاب
ويضيعُ منكَ الثواب
من ربِّك المُنعِمِ الوهّاب.

***

الإلحاد.. وما أدراك ما الإلحاد
عِنادٌ.. فإبعادٌ عن ربِّ العِباد
وتسليمُ الشيطانِ القِياد
وبيْعٌ للصلاح.. وشِراءٌ للفساد.
إنه سلاحٌ فتّاك.. هو لكَ بالمرِصاد
فلا زاد... ولا زُوّاد
ولا عُدّة.. ولا عتاد يومَ المَعاد
وما هي إلا ضغطةٌ واحدة علي الزِناد
تُرديكَ صريعاً يومَ الميعاد
تتلقّاكَ نارٌ لهيُبها في ازدياد
شَوْقاً إليك يا مَنْ جعلتَ للهِ الأَنداد
ومَنْ يُجيرُكَ يومئذٍ غير الواحد الخَلّاد؟!

***

الإلحاد.. كِبْرٌ وعِناد
مع مَنْ؟.. مع ربِّ العِباد؟!
ربِّ المَعاد والميعاد؟!
الغنيِّ عنَّ الاعتمادِ والاعِتداد؟!
تُنكرُ عليه الوجودَ والإيجاد؟!
من خلال تساؤلاتٍ يعْتريها الفساد
وجهلٍ نَبَتَ في عقلِكَ ونَمَا وزاد
فجعلكَ تتخذ للهِ الأَنداد
تسعَي باسمِهم في الفسادِ
وتأْبَي وتُصِرُّ علي الإرتداد

عن دينِ الحقِ، والانقياد
لأوْهامٍ في نفسِك.. بل أمراض
علي خِلافِ ما غَرسَ فيكَ الآباءُ والأجداد
ممّا سيجلبُ عليك سُوءَ الحَصاد
وسوء المآلِ إلي سعيرٍ وَقّاد
بُرفْقةِ ملائكة غِلاظٍ شِداد
مع آلِ عادٍ وثمود.. مع هامانَ وفرعْون ذي الأَوْتاد
المُقرَّنين في الأَصفاد
إلي حيثُ سوء الزادِ والزُوّاد
وبِئْسَ المُقامُ والمِهاد
جزاءَ ميْلهم عن طريقِ السدادِ والرشاد.
إقْضِ فيهم ربِّ ما أنت قاض
كُن لهم بالمِرصاد.. يا جبّار.. يا هَدّاد
أنت القاهِرُ فوق العِباد
أو جُد عليهم بالهِدايةِ.. يا جَوَّاد.

***

يا أيُّها المُلحِد.. والمُرتدّ
كُفّ عن إلحادِك.. والْزَمِ الحَدّ
مَنْ لكَ إذا لم ترتدّ
عنِ الإعراضِ والصدّ
إلَّا الواحِد.. الأَحَد
الذي لم يُولَد.. وليس له وَلَد
الغنيّ عنِ العضُدِ والسَنَد؟!
لا تقُل له بنِدّ

ولا تؤمن بأَحَد
إلَّا بِهِ .. الفَرْد .. الصَمَد
إسأَلْهُ العَوْنَ والَمدَد
فأنت بدونِهِ .. خَيْمةٌ بلا وَتَد
ميِّتٌ بين الأحياءِ علي طُولِ الأَمَد
مهما أحاطَ بكَ الخَلْقُ وزادوا في العدد
فلا حَوْلَ ولا قوةَ لك بهم إلي الأَبَد.

***

ماذا تقولُ له يومَ العرضِ عليه
وأنت لم تركَع ولم تسجُد بين يديه؟
أتأتيهِ مُفْلِساً؟
ومَنْ يكونُ لكَ يومَها مُخلِّصاً
إنْ لم تكُن له مُقدِّساً؟!
أتظُنُّ أنكَ بالإلحادِ في مأمن؟
لا ، وربي، فالخطرُ يُحْدِقُ بكَ في كلِ مَكْمَن.

***

أنت عُمرٌ بلا شباب
إنّ لم تُسارِع إلي المآبِ والمَتاب
وحياتُك .. كالسراب
خريفُها يَمْحَقُ منها الربيع
إنْ لم تلجأ إلي السميع البديع.
تمسَّكْ بحبْلِه.. حتي لا تضيع
وتقع في براثن الشيطانِ الوضيع.
دينُكَ هو لكَ الحِصْنُ الَمنيع

فكُن لربكَ خيرَ مُطيع
والمُطيعُ يشتري ولا يبيع
فبيعُك خاسِر.. وأنت الصريع
يومَ يحشُرُ اللهُ الجميع.

***

مَنْ أنت .. يا مسكين
يا مَنْ سترحل مع الراحلين
مع السابقين.. واللاحين
يا قبضةً من طين
يا نُطفةً في قرارٍ مكين
صوَّرَكَ الرحمنُ وأنتَ جَنين.
آلآن تنفُضُ عنكَ الدين
سَتْرَكَ وغطاكَ إلي يوم الدين
وحِصْنَك الحصين
بدلاً من أنْ له بالشكِر تدين؟!
إنْ هذا إلَّا بفعلِ شيطانِكَ اللعين
فلا تُطِعْهُ .. ولا تستكين
إنه لك عدُوٌ مُبين
وأَسْوَأُ قرين
يُرديكَ في أسفلِ السافلين.

***

إرجع إلي ربكَ واركع واسجُد بين يديْه
فما أَحْلَي الرجوعَ إليه!
سارِع بالأَوْبة.. وإلي التوْبة

تحوَّل بِمُلْكِكَ عنِ الإعراضِ والصُدود

قبلَ أن تكونَ مَرْتعاً للدود

مع الأمواتِ في اللُحود

ولا تكُن كأصحابِ الأُخدود

الذين كفروا بربهم.. فمن عنهم يومَ القيامةِ يذود؟

***

لا تكُن ميِّتاً بين الأحياء

بل كُن حيّاً بين الأموات

إرجع إلي ربِّ الأرض والسماء

قبل الحَسْرةِ علي الفَوات

فهيْهات.. هَيْهات لمن شُغِل بالُملذّاتِ والشهوات

عن ربِّ الماضي.. والحاضر.. وما هو آت.

أَيُّها المُلحِدون!

هـذا النداء فيه شـفاؤكم من كل ما أصـابكم من مُجون منه تُعانون.. لا ليأفكك عما تعبُدون.. عن عقولكم وعن العلم والطبيعة بسرِّها المكنون.. ولكنْ ليردَّكم عنِ الطريق غيرِ المأمون الذي أنتم فيه سائرون وجعلكم تمرضون وعن الهُدَي تَحيدون، أعينكم تُغمِضون وآذانَكم تَصُمّون وعنِ الحق تخرُصون، أليس ذلك عينَ الجنون الذي أنتم له عن طواعيةٍ مُستسلمون؟! أَفيقوا أيُّها المغرورون الُمغَرَّرون أنتم ومن لكم تابعون قبلما يوم الفصْل يئون وتُحاسَبون! إنما يُهلَكُ الفاسقونَ الماردون وعنِ الصراطِ ناكبون؟!

هذا نذيرٌ في سطور لعلكم بالنُصحِ تعملونَ وترجعون.

اعلموا أَيُّها المُلحدون!

أنه لا كان .. ولا يكون .. ولا سيكون

منْ بينِ الخَلْق مُلحِدٌ يُنكرُ إلَهَ الكون

بدافِع الغُرورِ والِكبْرِ والمُجون

طالما أَنَّ الإيمانَ في القَلبِ مكْنون

إننا لا نهدِي مَنْ نشاءُ ولكنَّ الهدايةَ لا تكون

إلَّا ممّن أَمرُهُ بينَ الكافِ والنُون.

أَتسمعون؟

أم علي القلوبِ والعقولِ أَقفالٌ مُوصَدة تجعلكم لا تفقهون؟

أم أن مفاتحهَا عندكم.. فلِمَ تتأخّرون؟

أَعمِلوها في المغاليق.. لعلكم ترشُدون!

فيما سبق من خطابٍ ونداء يتبيّن بالحُجّةِ والدليل والبُرهان أن أسئلتكم فاسدة ومُغرِضه لمجرّد التشكيك فيما لا يقبلُ التشكيك وليس مَحلاً له، والإجابة تتوخَّي التنكير والتذكير والتحذير وتدعو إلي إعمالِ العقل البصير

لتفادِي التقصير بسبب النظر القصير إلي ما تحت أرجُلنا وتدعو أيضاً إلي مدّ البصر إلي ما وراء الآيات الكوْنيّة من تدبيرٍ لكل ما تَحْويه من حذافيرَ مُسخَّرةٍ للبشر من العَلِيِّ القدير وعدمِ اللجوءِ إلي ما يقيسُ به البَشَر من معايير لا تنفعُ في هذا الصدَد بل تُضير إذ أنها تجعلهم في تخسير بسبب سوء التفكير والتقدير من خلال عقلٍ وبصرٍ حسير لا يسعُهُ إلا أن يرتدَّ خاسئاً أمام قُدرةِ وإحكامِ العليمِ الخبير بكل ما هو كبير أو صغير في السماوات والأرض وما بينهما من أثير.

إرجع أَيُّها المُلحِد عن غَيِّكَ قبل فواتِ الأوان، استخِلص الموْعظةَ والعِبرة من نهاية كلِّ مَنْ سبق من المُتكبِّرين والمتجبّرين أمثالِ فِرعوْن وابنِ نُوح وقارون والنَمرود واسأل نفسَك: أين السابقون؟ لتعرف أنك من اللاحقين بهم إلي نفسِ المصير. تأمَّل الظواهِرَ الطبيعية من طَقْسٍ ومناخ، وماءٍ إذا طَغَي، ونارٍ إذا استَعَرَت، وزلازل وبراكين وأمراضٍ وعِلَل وأَوْبئة تُصيب من البشر الملايين، وقضاءٍ لا مَرَدَّ له إلَّا من اللهِ العليّ القدير. ماذا تملِكُ أنت يا مسكين حيالَ كل مصائب الدنيا هذه، أيمكنك أن تمنعَها أو تدفعَها أو تتوقَّاها؟ لا حَوْلَ ولا قوةَ لكَ حِيالَها إلَّا بالله، مالكِ المُلْك وكلِّ مَنْ مَلَك. أَفَلابدَّ من استِشعارِ الخطر ودُنُوِّ الموت منك كي ترجعَ إلي الحق المُبين كما رجع فِرعوْنُ وهو عِداد الغارقين؟! الفرصة سانحة أمامك في حياتك فاغتنمّها قبل الفَوَات؛ إن عاجلاً أو آجلاً ستذهب عنك وتتركُك للحَسْرة، فالدنيا علي وُسْعيها جَدّ ضيّقة، اخرج من هذا الضِيق والانحسارِ والحِصار إلي رِحابِ ربك المَليك والغفّار، تقرَّب إليه وأَقْبِلْ عليه يتقرَّب إليكَ ويُقْبِل عليكَ بالرحمةَ والغُفران. هَلَّا أبصرتَ في نفسِك وخلْقِكَ مِنْ أَيْن لك به إلَّا ممّن أبدع وصَوَّر والليلَ والنهارَ كَوَّر! وفي طعامِك وشَرابِك يأتيك بلا حَوْلٍ ولا قوةٍ منك! ألا يدُلُّ كل ذلك علي أن هناك مُدبِّراً بالعبوديّة جديراً؟!

إذا لم تتيقَّن وتُذعِن وتخْضع فَلْتخرج من تحت سمائه التي يُظِلُّك وتترك أرضَهُ التي تقِلُّك وهَوَاءَهُ الذي لولاهُ تهلَك، وانظر ماذا بُوسْعِكَ أن تفعل؟

انفر من الشيطان واتّباعه، هو وجنوده وأتباعه، يئِّسْهُ منك كما يئسَ هو من رحمةِ الله وأصبح طريداً منها بعصيانه وعنِاده ومكابرته، الساعُة آتيةٌ ولا ريُب، فماذا تنتظر؟!

نموذج دعوة
لتجديد الفكر الديني

كتاب «خُرافة الإلحاد» لمؤلِّفه د/ عمرو شريف يعرض في صفحاته الأخيرة مُقترحاً تفصيلياً كاملاً شاملاً لتجديد الفكر الديني وليس الخطاب الديني فحسب، محاولاً من خلال نظرة نقدية مُتفحِّصة ومُقوِّمة لما فيه من قصور وتقصير الأخذ بأيدي المفكِّرين والباحثين عن الحقيقة بصدق والدارسين الصادقين من أجل تصحيح ما شاب هذا الفكر من عَوَار يكاد يُنفِّر من الدين الإسلاميّ بدلاً من أن يجذبَ إليه مُعتنقيه، وما أراد - كما أحسّ من سطوره - إلَّا الإصلاح ما استطاع، من منظورٍ موضوعيّ يستهدفُ تنقيةَ هذا الدين من كل المُدخَلات الفكرية السلبية ليترسَّخَ في الأذهان ويستقرَّ ويدومَ في القلوب عن طواعية وحب وتوافُق مع مُجريات الحياة الإنسانية علي مرِّ العصور لما فيه خيرُ الأمة. انطلاقاً من هذا المَنْحَي والهدف والمُستهدَف يتبنَّي المؤلِّف والمُفكِّر د/ عمرو شريف، بعد عرضٍ لأمارات الجمود في الفكر الإسلامي المعاصر - ونتبنَّي معه - **خطة للمصالحة** [1] مع كل ما تصادم معه هذا الفكر من عقل وعلم وتاريخ وكل مَنَاحِي الحياة المختلفة بقصد الصلاح والإصلاح ودَرْءاً للفسادِ والإفساد والضلالِ والإضلال والتضليل ليكونَ الدينُ مِشعلاً يُنير القلوب والعقول ويمحُو ما رأته عليها من صدأ ويُمكِّن الإيمانَ منها للعمل به، إذ أن الإيمان الحق هو ما وَقَرَ في القلب وتحوَّل إلي عمل، وليكونَ الديُن في النهاية وسيلةً للخروج من الظلمات إلي النور. فلْتكُن هذه الخِطة أُنموذجاً لإصلاح الفكر الإسلاميّ المعاصر دَحْضاً ودَحْراً لدعاوَي الإلحاد المعاصر علَّها يكون فيها الدواء أَضِف لهذا الداء الوَبيل حالَ تنفيذها بذات النيَّة الخالصة المُخلصة لوجه الله والكامنة في قلب وعقل عالِمٍ يخشي الله فيما يصْدُقُنا من قوْل ويتخذ من رسوله محمد صلَّي اللهُ عليه وسلَّم قُدْوتَه في الدعوة إلي تجديد وإصلاح الدين.

(١) للإطلاع علي تفاصيل هذه الخطة لإصلاح وتجديد الفكر الإسلامي المعاصر د/عمرو شريف، «خرافة الالحاد» ص ٥١٣ وما بعدها

وُصولاً إلي كمالِ الإيمان بالله الخالق وبحكمته مطلوب قراءة كتاب الله المسطور وهو القرآن، وكتابه المنظور، وهو الكَوْن والطبيعة التي أسْهب أهلُ الدين والإيمان في التنكُّر لها بينما قدَّسها الماديون وأغرقوا في تقديسها دون إدراك اتساقها مع إرادة الوجود الإلَهي المُهيْمنِ عليها؛ مطلوب قراءة تمزِجُ بين هذيْن القُطبْين أو المُتوازيين بتعقيل الطبيعة وتطبيع العقل، كما يقول د/ عمرو شريف، وذلك لا يتحقق إلَّا بالجدال بالتي هي أحسن وبالقوْل الليِّن بنوايا سليمة وبتوخِّي الموضوعيّة والوَسَطيّة في المُحاججة اجتهاداً في التوفيق بين الدين والعِلم لخير البشرية جمعاء، سواءً أخطأ أم أصاب المجتهدون طالما كان اجتهادُهم هذا بَمنْأًي عن إثارةِ الشُبُهات والإشارة بأصابع الاتهام إلي الدين وأهله بُغيةَ زعزعة إيمانهم وإخراجهم من دائرته، والقرآن بثراء دلالاته وعُموميّة وشُموليّة قِيله يتَّسعُ لكل وأيّ محاولات فهم وتفسير نُصوصه تفسيراً علميا يسعي صاحبه جاهداً إلي التوفيق بين الدين والعلم، طالما خلُصت النيّة في الإصلاح، فالآراء والتفسيرات والتأويلات التوفيقيّة لها أن تتعدَّد مع احتمال الصواب والخطأ، أما القرآن ذاته فواحد وثابت لا تشوبُهُ شائبة ولا يؤثرِّ فى مَتْنِهِ أَيُّ سَهْمٍ مُغرِض خبيث لأنه مُنزَّلٌ من لَدُن حكيم خبير، أنزله وحفظه ويحفظه وسيحفظه رغم كَيْد الكائدين ومكْرِ الماكرين؛ يمكرون ويمكُرُ الله، واللهُ خيرُ الماكرين.

***

حَصاد الجهاد
صد الإلحاد

في سطور ختامية قليلة نقول:

تُجنَي ثمارُ الجِهاد ضد الإلحاد أَوَّلاً بالانطلاق من سلبياته المتمثِّلة في الهبوط والتدنِّي الفكري والعقائدي والأخلاقي بدعوَي التحرُّر والتقدُّم والتحضُّر، وثانياً بعدم تأليه وعبادة النِعَم المادية دون المُنعِم الذي جاد بها علي الإنسان من فَضْله وكرمه ورحمته به والذي سخَّرها له وأتحفه بها ليعبُدَهُ من خلالِ التأملُّ فيها ويقرَّ له بالعُبوديّة والوحدانية والربوبيّة. ثالثاً بتحمُّل مسئولية تجديد الفكر الديني وإصلاحه بالتوفيق بينه وبين الفكر العلمي بإخلاص النيَّة من جانب القائمين عليه وتوخِّي الاعتدال والوَسَطِيّة وهما من أهم سِمات الدين الإسلاميّ السَمْح الحنيف، وما ضلَّ من خَشِيَ الله في مسعاه ومن رَضِيّ عنه والاه وأرضاه وما خيَّب رجاه. رابعاً الإيمان بأن الإيمانَ ضرورة حتْمية وحقيقةٌ جليَّة لا تُنْكِرها أَيُّ عقليّة بشريّة.

***

تم الكتاب

بحمدالله.. وتوفيقه.. وهدايته

***

د/فايزة السيد عبدالرحمن

قسم اللغة الألمانية

كلية الآداب

جامعة القاهرة

***

المُحْـتَوَي

مُلَخَّص

لمضمون كتاب «المُلحِدون.. عمَّ يسألون؟»

لمؤِّلفته: د/ فايزة السيد عبدالرحمن

* يتناول هذا الكتاب في مَتْنِهِ **جموع الأسئلة الحائرة في خَلَد المُلحِدين** بالعرض والدراسة والنقد البنّاء لبيان فساد مزاعمهم وإفسادها وضلالها وتضليلها وبُطلانها ويُبيِّن بالحُجة والدليل أنها مبنيّة علي باطل وأوهام من نَسْج خيال هؤلاء المُعرِضين المُنكرين، بدَّدت نور عقولهم وبدَّلته بظُلُمات خيمَّت عليها.

* يتعرّض هذا الكتاب مباشرةً **لداء الإلحاد** بالكشف والتنقيب عنه في أغوار النفس المُلحِدة، وذلك من خلال سلسلة مزاعم فاسدة نابعة من فكرٍ فاسد في هيئة ثنائيات إلحادية **(ص ١٧ - ٤٩)**.

* يعرض هذا الكتاب **الدواء لداء الإلحاد** من خلال النُصح والإرشاد أملاً في الشفاء لمن طاله وأصابه هذا الداء وتغلغل في نفسه، سواء بعلمه أو في غفلةٍ منه أو تحت تأثير غيره ممن مالوا وحادوا عن الحق والحقيقة.

* يستهدف هذا الكتاب من خلال **أربعة نماذج مختارة لمن** خاضوا **رحلةً من الشكّ إلي الإيمان ثم اليقين (ص ٥٠ - ٥٦)** ومن خلال مُوجَّه مباشرةً **(ص ٥٧ - ٧٣)** إلي من جرفهم تيّار الإلحاد الغربي المعاصر بفعل شيطانهم الغَرور الغَرار، تنبيه هؤلاء المُنجرفين الغارقين في بحرٍ من الظُلمات، وإيقاظهم من غفْوتهم وغفلتهم أملاً في صَحْوَتهم لعلهم يُفيقون ويرشُدون قبل الفَوَات.

* يدقّ هذا الكتاب، من خلال «نداء الإيمان إلي واحة الأمان»، **جرس الإنذار** علي أسماع المُنذَرين من أعداء الدين الذين زلّت أقدامهم ووقعوا هُوَّة الإلحاد السحيقة، مُحذِّراً إيّاهم من التمادِي في الغَيّ الذي هم فيه

يعمهَون والذي سيُمْنيهم حتْماً بالخُسران المُبين، إلَّا إذا أَرْهَفوا السمْعَ لصوت الَوْعظ والإرشاد والهِداية لعلّهم يتّعظون ويهتدون وينفُضون هذا الداء الوبيل الذي رانَ علي قلوبهم وعقولهم حتي ضلّوا الطريق إلي الحق وألبسوه بالباطل.

* يُشير هذا الكتاب في أواخره إلي **نموذج خطة دعوة لتجديد الفكر الديني** بهدف التصحيح والإصلاح لصالح أهل الإيمان والعِلم معاً وصالح البشرية جمعاء، وذلك من خلال تنقية الدين من كل المُدخَلات الفكرية السلبية التي غَزَتّْهُ حتي يتحقق التناغُم والتوافُق والتواؤُم مع مُجرَيات الحياة الإنسانية علي مرّ الأزمان ويترسَّخ في العقول والقلوب عن طواعية بالحثّ علي التبصُّر والتبصير بمَنْأي عن التنافُر والتنفير.

* يُرشد هذا الكتاب في ختامه إلي **كيفيّة جَنْي ثمار الجهاد ضد الإلحاد** ووضعها نُصْب أعيُن المُلحدين حتي يهتدوا بنور البصر إلي نور البصيرة ويتيقّنوا أن **الإيمان ضرورة حتميّة** لازمة لخير البشرية.

***

نبذة عن مؤلِّفة الكتاب

* خرّيجة المدرسة الألمانية بالإسكندرية

* خرّيجة قسم اللغة الألمانية بكلية الآداب بجامعة القاهرة

* حاصلة علي درجة الماچستير من قسم اللغة الألمانية بكلية الآداب بجامعة القاهرة

* حاصلة علي درجة الدكتوراه من جامعه هُومبولت ببرلين

* عضو هيئة تدريس بقسم اللغة الألمانية بكلية الآداب بجامعة القاهرة

* أَوّل من شَرُف من خرّيجي قسم اللغة الألمانية (بكلية الآداب بجامعة القاهرة) برئاسة مجلسه

* كل إنتاجها العلمي - الماچستير والدكتوراه وما أعقبهما من أبحاث علمية - مُنصَبٌ علي المقارنة بين اللغتين الألمانية والعربية للاستفادة والإفادة من بعضهما البعض بهدف رفع مستوي تدريس ودراسة هاتين اللغتين والاستفادة بهما ومنهما في مجال الترجمة وإعداد المعاجم اللغوية.

* التخصص العام: علم اللغة العام والخاص والمقارن وعلم الترجمة.

* التخصص الدقيق: العلاقة بين المعنَي (الدِلالة) والمبنَي (النحو) في اللغة الألمانية بالمقارنة العربية.

* سبق أن نُشر لها كتاب باللغة العربية بعنوان «مناجاةُ الخالقِ بأسمائِهِ الحُسني» بمعرفة دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولي ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م، وقد تم أَوَّل عرض له في معرض القاهرة الدولي للكتاب في يناير/ فبراير ٢٠١٩م.